روايات مصرية للجيب



أوهام الحب

شريف شوق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ شارع كامل صدقي بالفجالة - القاهرة - ت ٩٠٨٤٥٥

اوهام الحب

« قد نحيا العمر كله أسرى لوهم اختلقناه بأنفسنا ، ولأنفسنا ، وعندما يتبدد الوهم ، وتتجلى الحقيقة ، نجد أننا قد دفعنا أجمل وأغلى سنوات عمرنا ، ثمناً لهذا الوهم » .

شريف شوق

١ – أوراق الماضى ..

دخل (شكرى) إلى حجرته . فى ساعة متأخرة من الليل . بعد أن كلَّت قدماه من السير فى طرقات وشوارع (القاهرة) . على الرغم من جو الشتاء البارد . الذى احتوى العاصمة فى تلك الليلة . وأجبر سكانها على البقاء فى منازلهم . التماساً للدفء بين جدرانها . مما أضفى على الشوارع سكوناً لم تعتده . وجعلها أشبه بمدينة مقفرة ، تهبّ فيها الرياح الباردة ..

(شكرى) وحده لم يكن يشعر بكل ذلك . وهو يقطع شوارع (القاهرة) على قدميه ، فقد كان رأسه يزدحم بخواطر وأفكار لم تهدأ ، منذ ودَّع صديقه (كمال) فى المطار . قبيل سفر هذا الأخير ..

وحتى عندما اعترض بائع الصحف المجاور لمنزله طريقه ، وهو يمدّ له يده بجريدة الصباح ، هاتفاً :

– الجمهورية .. جمهورية الغد ..

حتى عندما حدث ذلك ، وهو ما يزال مستغرقاً فى شروده ، وجد نفسه يدفع بورقة مالية إلى البائع .

ويتناول الصحيفة . ويتابع سيره فى آلية . لولا أن هرع البائع الصغير خلفه . وهو يهتف :

ـ سيّدى .. سيّدى .

فى تلك اللحظة فقط أفاق من شروده . والتفت إلى البائع الصغير فى تساؤل . فناوله هذا الأخير بطاقة قديمة وهو يلهث قائلا :

ـ لقد سقطت منك . وأنت تخرج النقود ..

غمغم فى خفوت . وهو يلتقط البطاقة :

ـ شكراً لك .

ناوله البائع الصغير بضع عملات معدنية صغيرة ، وهو يقول :

ـ لقد نسيت الباقى أيضاً .

اغتصب ابتسامة باهتة . لم تنجح فى إخفاء ذلك الوجوم الذى يملأ وجهه . وهو يغمغم :

ـ احتفظ به لنفسك .

شكره البائع الصغير فى حرارة . وعاد يواصل هتافه على بضاعته الثقافية . على حين تابع هو طريقه

إلى منزله . وهو يهمّ بإعادة بطاقته إلى جيبه . لولا أن وقع بصره على تاريخ ميلاده . المدوّن فى البطاقة ، فتوقف وهو يتأمله فى شرود ..

لقد تجاوز السابعة والثلاثين من عمره . ببضعة أشهر . طبقاً لذلك التاريخ . وها هو ذا يقترب تدريجيًّا من العقد الخامس من العمر ، حيث يتخذ الشباب أهبة الرحيل . ويفتح الخريف ذراعيه . لاستقبال زائر جديد . دون أن ينصت إلى محاولات البعض لخداع أنفسهم . بتصوّر أن الأربعينات هى سنّ الرجولة والنضج الكامل . ودون أن يلتفت إلى فلسفة البعض . حينما يقولون : إن الشباب يمتدّ مع المرء . طالما لم يتخلّ عنه بعد. وحجتهم فى ذلك أننا نرى أحياناً شابًّا فى الخمسين يتفجّر بالقوة والحيوية والنشاط . على حين نجد كهولا فى العشرين . خملت حياتهم . وفقدت بريقها..

يدّعون أن الشباب شعور وأحاسيس . وليس مرحلة من مراحل العمر .

ولكن كل هذا لا يخدع الخريف .

إنه يعلم أن الكلمة الأخيرة دائماً للزمن . الذى يطبّق أحكامه وقوانينه على كل مراحل العمر . وعلى كل الكائنات . حتى بالنسبة لمن يشعرون بالحيوية والنشاط على الرغم من تقدمهم فى العمر . فكل ذلك ليس سوى صراعٍ مع الزمن وقوانينه ، ورفضٍ للواقع ..

وهو صراع يربحه الزمن دائماً ..

فالزمن مقاتل عنيد . واثق الخُطا . لا يضيره أن يترك الآخرين يمرحون ردحاً . ما دام يعلم أنه سيهزمهم فى النهاية ..

ولكن بعضهم ينتصر ..

ينتصر ؛ لأنه يعلم أن المكسب الحقيقى ليس فى الصراع مع الزمن . وإنما فى التغلُّب على كل ما يعترض المرء من جراح وأحزان وأوهام ..

النصر الحقيقى هو أن يستثمر الإنسان كل مرحلة من مراحل عمره . وألاّ يمنحها فرصة الإفلات من بين أصابعه . حتى لا يكتشف فى النهاية أنه قد أضاع عمره فى صراع خاسر ..

كل هذه الأفكار دارت فى رأس (شكرى) ، وهو يضىء حجرته . ويطيل النظر إلى أرجائها ..

لقد شهدت تلك الحجرة أحلامه وأوهامه ، حينما كان يغلق عينيه داخلها ، ويترك لخياله تحويلها إلى قصر منيف ، تحيط به الحدائق الغنَّاء من كل جانب ، وتهبّ من نوافذه رواح الزهور ، وعبير الحياة ..

كذلك كان خياله يحيل تلك الحجرة أحياناً إلى بؤرة من الجحيم ، تضيق به جدرانها مع أحزانه ، وتطبق على ضلوعه بلا رحمة ..

ولكن حجرته دائماً تشبه تلك الحجرة الصغيرة . فى منزل أسرته ..

نفس الجدران الباردة الضيقة ..

نفس الشعور ..

وفى شرود ، خلع (شكرى) سترته ، وفتح صِوَان ملابسه ؛ ليعلقها داخله ، وهنا لمحت عيناه علبة صغيرة ، من القطيفة الحمراء ، جعلته ينسى سترته ، ويلتقطها ، ويفتحها فى بطء ، ويتأمَّل (الدبلتين) الذهبيتين ،

المستقرتين داخلها . قبل أن يلتقط إحداهما ، وهو يهمس فى انفعال :

– (نادية) ..

مرّت لحظة من السكون والصمت . قبل أن يتحرك من مكانه ، ويجلس خلف مكتبه ، ويضع (الدبلة) أمامه ويتطلّع إليها فى حزن ، وكأنما يرى وسطها وجه صاحبتها ..

وانتقل بصره – فى بطء – إلى سلسلة مفاتيح ، موضوعة فوق مكتبه ، وأمسك أحد مفاتيحها بأصابع ترتجف . واقترب به من درج مغلق . وقد عاودته تلك الرعشة الباردة ، التى تعتريه كلما همّ بفتح ذلك الدرج . ونفس حبات العرق . التى تتجمّع فوق جبينه . على الرغم من برودة الطقس ..

كانت أنفاسه تتردد فى صدره بصعوبة . وملامحه ترسم تعبيرات مختلفة . وكأنها تروى قصة طويلة ، مريرة ..

إن هذا الدرج يخفى داخله ماضيه ..

ماضيه . الذى تمنى أن يتخلص منه . ويلقى به خلف ظهره إلى الأبد ..

ولكن هيهات ..

لقد تعلقت حياته كلها بذلك الجزء من الماضى ، وتوقفت عنده ..

كل لحظة من سنوات حاضره ومستقبله ، أصبحت أسيرة لهذا الماضى . تتبع خطاه فى استسلام ..

كل صورة . وكل ورقة يحويها درج مكتبه ، تروى جزءاً من قصته مع (عايدة) ..

(عايدة) . التى كانت مصدر سعادته وشقائه ، والتى قدمت له أسعد سنوات عمره وأتعسها . ثم تركته سجيناً داخل أسوار وهم اختلقه لنفسه . وأضاع معه أحلى سنوات عمره ..

كم تمنى أن يمزّق هذه الأوراق . وتلك الصور ، ليودّع معها شقاءه وأوهامه . ولكنه كان دائماً أضعف من أن يفعل ، وعاجزاً عن تنفيذ ما أرادته إرادته المقيّدة ..

وعلى العكس . كان يبقى ساعات أمام الصور

والأوراق . يستعيد معها كل لحظة . وكل كلمة ..

يحيا معها سعادة الماضى . وشقاء الحاضر ..

وفى كل مرة ينتهى به الأمر إلى إعادة الصور إلى الدرج . وإغلاقه عليها ؛ ليعود إلى حاضر موحش . أملا فى أن يسترد سعادة الماضى يوماً. حتى ولو شابته الجروح ، وانخفض فيه الحب ..

وعاد (شكرى) يقلّب الأوراق والصور ، والنسخ التى يحتفظ بها من كل رسائله إلى (عايدة) . وحتى سلسلة المفاتيح . التى أهدتها إليه يوماً . وبطاقة الكلية . التى تحمل صورتها ..

وراح عقله يسبح بعيداً ..

راح يسترجع ذكرياته معها ..

ولم تكتف ذكرياته هذه المرة بالصور والأوراق ، وإنما سبحت بعيداً .. بعيداً ..

سبحت إلى لقائه الأول معها ..

مع (عايدة) ..

* * *

٢ - فتاة مختلفة ..

كان (شكرى) حينذاك طالباً عاديًّا ، لم يتفوّق يوماً ، ولم يرسب كذلك ، طوال الأعوام التى قضاها فى كلية التجارة . وعلى الرغم من ذلك ، فقد كان معروفاً ، شهيراً بين زملائه وزميلاته ؛ إذ كان مرحاً ، خفيف الظل . وهبه الله (سبحانه وتعالى) صوتاً شجيًّا، يجيد به الغناء ، وتقليد أصوات كبار المطربين فى براعة فائقة. حتى أنه تلقى مراراً عروضاً بالاحتراف ، حينما سمعه البعض يغنى فى حفلات الكلية ، ولكنه كان يرفض دوماً . فالغناء — بالنسبة إليه — لم يكن سوى هواية ، تندرج ضمن عدد آخر من هواياته . مثل الكتابة وقرض الشعر . والرسم . ولقد أكسبته تلك الهوايات والمواهب عدداً من الصداقات . وجعلته محط إعجاب العديد من زملائه ..

وبالنسبة للبعض . كان (شكرى) مثالا للشاب المرح . خفيف الظل ، الذى يعرف كيف يضفى جوّا من البهجة على مجالسيه، على حين كان . بالنسبة للبعض

الآخر ، مثالا للشاب الذكى المثقّف ، الذى يجيد إدارة الحوار والمناقشات ، فى موضوعات شتى متعدّدة ..

لقد كانت له دوماً شخصية متميّزة ، منفردة ، تفرض نفسها على مَنْ حوله ، وهو يجيد التعامل مع الجميع ، وكسب ودّهم ، على الرغم من اختلاف مشاربهم وطبائعهم ..

ولقد انتظم (شكرى) فى دراسته الجامعية ، فى ذلك العام ، الذى تبدأ عنده ذكرياته ، بعد شهرين كاملين من بدء الدراسة ، قضاهما فى (اليونان) ، شأنْ ما كان مألوفاً بين طلبة الجامعة ، فى ذلك الحين ، ولقد افتقده زملاؤه كثيراً ، وخاصة المقربين منهم إليه ، مثل (عماد) و (كمال) و (ماجد) ، وشعروا بالافتقار إليه فى جلساتهم ، حتى كان يومه الأول ، المتأخر فى ذلك العام ..

لقد وصل إلى الكلية ، وهو يشعر بحنين جارف إلى أصدقائه ومحاضراته ، وحفلات السمر والمناجاة ، ولم يكد يتجه إلى مدرّج المحاضرات ، حتى استوقفه هتاف مرح :

– (شكرى) !!.. غير معقول ..

التفت إلى مصدر الصوت فى لهفة ، وانفرجت أساريره عن ابتسامة واسعة ، وهو يهتف فى حرارة :

– (عماد) !!..

و (عماد) من أصدقائه الذين يحبهم كثيراً ، فهو رفيق ، تطلُّ من عينيه نظرة طفولية بريئة ، سرعان ما تجتذبك إليه ، ومن العجيب أنها ذات تأثير عظيم على الفتيات ، على الرغم من أن شخصيته تتعارض تماماً مع تلك النظرة ، فهو صاحب صولات وجولات فى العلاقات الغرامية العابثة ، ذات المدى القصير ، التى ما إن تبدأ حتى تنتهى ، بسبب طبيعته الملولة الأنانية ، إذ يزهد فى سرعة ، الفتاة التى تحاول تطويقه بعواطفها ، أو إلزامه بشىء ما تجاهها ، وحتى ولو كان ذلك الشىء مشاعر حب صادقة ..

وبكل اللهفة والسعادة ، احتضن (شكرى) (عماد) هاتفاً :

– (عماد).. ياصديقى العزيز ، لقد افتقدتك كثيراً.

– أنا أيضاً افتقدتك كثيراً يا صديق ، لماذا تغيبت عن الكلية طوال شهرين ؟

– كنت فى (اليونان) كما تعلم .

ضحك (عماد) ، وهو يقول فى تخابث :

– وهل جمال (اليونان) هو سر تغيُّبك ، أم هنَّ فتيات (اليونان) ؟

– لا هذا ولا ذاك .. أنت تعلم أننى لم أكن فى جولة سياحية فى (اليونان) ، وإنما كنت كغيرى من الطلاّب ، أبحث عن عمل خلال فترة الصيف ، ولقد عثرت على عمل جيّد، كان هو السبب فى تأخُّرى فى العودة ، حتى يمكننى توفير نفقاتى لهذا العام ..

ضحك (عماد) مرة أخرى ، قائلا :

– إذن فأنت لم تتحوّل إلى (أوناسيس) بعد !

بادله (شكرى) ضحكته المرحة ، وهو يجيب :

– كنت أحتاج إلى شهرين آخرين ؛ لأفوقه ثراءً .

ثم استطرد فى اهتمام :

– وبالمناسبة .. أين باقى الزملاء والأصدقاء ؟

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى وجد نفسه محاصراً بعشرات منهم ، التفُّوا حوله . يرحبون به فى حرارة ومرح ، وهم يعانقونه ، ويداعبونه. حتى شعر بتألُّقه وسطهم، وبمدى مايتمتَّع به فى الكلية من ودّ وحب. وهو ما كان يفتقده فى غربته . وعمله المضنى فى (اليونان) ، وخاصةً حينما هتف به صديقه (ماجد) :

– لقد حرمتنا من أغنياتك الشجيَّة ، التى تخفق لها قلوبنا ، طوال الفترة الماضية ، ونحن نطالبك بتعويض مناسب .. هيا إلى حديقة الكلية ؛ لتشنف آذاننا بأغنية جديدة .

هتف (شكرى) محتجًا :

– أليس من الأجدى أن أتعرّف المدرّج الجديد أولا؟

قاطعه (ماجد) فى مرح :

– كلاّ .. الغناء والطرب قبل كل شىء .

– ولكن ..

قاطعه الجميع فى هتاف واحد :

– نريد أُغنية جديدة .. نريد أُغنية جديدة .

داعبهم قائلا :

— أيها التافهون .. أهذا وقت الطرب والغناء ؟ .. لِمَ لا تدعون ذلك لحفل الكلية القادم .. لو سمعكم أحد أساتذتنا، وأنتم ترددون هذا الهتاف ، فسيطردنا جميعاً من مدرَّج لم أدخله بعد .

ولكنهم عادوا يهتفون فى إصرار :

— نريد أغنية .. نريد أغنية ..

ضحك قائلا :

— لا فائدة إذن .. إننى أستسلم .. هيَّا بنا إلى الحديقة.

وتعالت هتافاتهم المرحة السعيدة ..

* * *

ابتسم (شكرى) فى حجرته ، وهو يسترجع تلك الذكريات ، التى مضى عليها ما يقرب من ثلاثة عشر عاماً ، وأخذ يقلِّب بين يديه صور أصدقائه، فى لحظات المرح والصخب والصبيانية ..

لقد كانوا مجموعة عجيبة من الأصدقاء ، تجمعهم الصداقة خارج الكلية ، أكثر مما تجمعهم داخلها .

وكانوا — على الرغم من اختلاف مشاربهم ، يتفقون فى كل ما يخصهم ، حتى فى نجاحهم فى كل عام ، بتقديرات تكفى لانتقالهم إلى العام التالى فحسب — دون أن يتفوَّق أحدهم عن الآخرين ، أو يرسب دونهم ..

والتقط (شكرى) صورة يبدو فيها وسط أصدقائه وهو يشدو بإحدى أغنياته ، وقد بدا الجميع فى تجاوب وانسجام كاملين ، وفى ركن الصورة كانت تجلس (عايدة) ..

وعادت ذاكرته إلى الماضى مرة أخرى ..

* * *

كان يتجه مع أصدقائه إلى حديقة الكلية ، حينما سمع صوتاً أنثويًّا يهتف :

— (عماد) .. (عماد) ..

لاحظ ذلك الاضطراب ، الذى اعترى صديقه (عماد) ، وهو يلتفت إلى مصدر الصوت ، فالتفت إليه بدوره ، ورآها لأول مرة ..

رأى (عايدة) ..

كانت المرة الأولى ، وكان من الممكن أن تكون الأخيرة ، فلقد ألقى عليها مجرد نظرة عابرة ، كما يتطلّع إلى أية فتاة عاديّة . دون أن تثار فى داخله أية مشاعر ، فلقد كانت (عايدة) عاديّة الملامح . مألوفة ، لا يمكنك أن تتطلع إليها فى انبهار ، أو أن تطلق خلفها صفير إعجاب ..

ولكنها فى الواقع كانت تختلف ..

كان فى داخلها شىء يختلف عن أية فتاة أخرى ..

شىء لم يلحظه أو يشعر به فى حينه ، وهو ينقل بصره منها إلى صديقه (عماد) ، الذى بدا متبرّماً ، وهو يتجه إليها ، قائلا :

- أهلاً يا (عايدة) .

سألته فى انكسار واضح :

- أأنت منشغل اليوم ؟

- نعم يا (عايدة) .. لقد عاد صديقنا (شكرى) من رحلته .. هل تذكرينه ؟.. لقد حدثتك عنه مسبقاً ،

وعن أغنيته الأخيرة ، فى حفل العام الماضى .. لقد كان فى (اليونان) و ..

كان من الواضح أنها غير مستعدة لسماع ذلك الحديث ، وأنها ترغب فى التحدُّث معه فى شأن آخر ، فقد قاطعته فى تردّد :

- (عماد) .. إننى ..

ولكنه عاد يقاطعها ، وكأنما يحاول التهرُّب من حديث يدرك فحواه جيّداً :

- سأعرّفك إياه .. لقد وعدتك بذلك من قبل .

ثم استدار ينادى (شكرى) فى لهفة :

- (شكرى) .. تعال ..

استأذن (شكرى) أصدقاءه ، واتجه نحوهما . فقدّمها (عماد) إليه ، قائلا :

- (عايدة) زميلتنا الجديدة ، تم تحويلها هذا العام من جامعة (الإسكندرية) إلى جامعة (عين شمس) .

صافحها (شكرى) ، قائلا :

- تشرّفنا يا آنسة (عايدة) .

ابتسم (عماد) ابتسامة طفولية . وكأنما أسعده هذا اللقاء . وهو يقول :

– (شكرى) .. نجم حفلات الجامعة . الذى حدّثتك عنه .

غمغمت بصوت خافت رقيق :

– تشرّفنا .. لقد حدثنى (عماد) عنك كثيراً .

تأمّل (شكرى) وجهها عن قرب . وخامره إحساس محيّر إزاء ملامحها . التى تحمل الكثير من المعانى ؛ التى لم يرها فى وجه فتاة من قبل ..

كانت عيناها أشبه بنبع عميق من الأحزان . تصنع مع ملامحها . وتلك الابتسامة المفتعلة على شفتيها . قناعاً من الكبرياء والتحدّى الصارخ . تحت غلاف من الحزن .. وبدت لـ (شكرى) وكأنها تتجاوز عمرها الحقيقى . حينما عجزت عن الاحتفاظ بملامحها المفتعلة طويلاً . فقطبت جبينها . وبدا وكأنها تحمل هموم الدنيا على كاهلها ..

كانت بالفعل طرازاً مختلفاً من الفتيات . لم يصادفه

(شكرى) من قبل . على الرغم من كل من عرفهنّ من الفتيات فى حياته . حتى أنه شعر بشىء خفى يجذبه إليها ، ولا يملك حياله أدنى مقاومة . ويشعر أمامه بالعجز عن مقاومة جاذبيتها . على نحو لم يعهده فى نفسه قط ..

والأعجب أن كل هذه الأحاسيس والمشاعر كانت وليدة تلك اللحظة . التى امتدّت فيها يده لتصافحها دون أن يعلم أن تلك اللحظة سترسم مسار سنوات عمره القادمة ..

وانتبه من مشاعره على صوت (عماد) . وهو يقطع صمتاً دام لحظات . قائلا :

– تعالى لتنضمى إلينا . وستستمعين إلى مطرب جيّد . لم يحصل على فرصته بعد . وبعدها نريد معرفة رأيك فى صراحة ..

ووجد (شكرى) نفسه يهتف فى حماس :

– نعم .. أريد معرفة رأيك .. وبكل صراحة .

ولكنه كان فى الواقع يريد ما هو أكثر من ذلك ..

كان يريدها .. يريدها هى ..

* * *

٣ ـ شعور غامض ..

افترش الأصدقاء عُشب حديقة الكلية، على هيئة حلقة أحاطت بـ (شكرى)، على حين جلست (عايدة) إلى جوار (عماد)، وبدا من الواضح أن علاقتها بباقى الأصدقاء سطحية، ضعيفة، وأنها لا تجلس إلا من أجل (عماد) فحسب، وليس من أجل سماع الأغنية.

وبدأ (شكرى) الغناء ..

كانت قصيدة وضع هو كلماتها، واستعار لها لحناً سمعه من بحّار يونانى، على رصيف إحدى الموانى اليونانية ..

وكان لحناً عذباً شجيًّا، يحمل إحساساً جارفاً بالحيْرَة والمعاناة، وكان (شكرى) ينطق بكلمات ممتزجة باللحن، وكأن الموسيقى تنبعث من أعماقه، فهوَتْ معها قلوب ومشاعر المحيطين به، وهو يشدو:

فى عينيك أرى سعادتى ..
وأرى قدَرِى الحزين ..
مَنْ أنت ؟.. أجيبى بربك ..

قولى من تكونين ..
أرى حبك وحنانك تارة ..
وتارة أخرى أراك للحب تجهلين ..
إن كان لى موضع فى قلبك أجيبى ..
أو قولى إنك بعواطفى تعبثين ..
أما تكفيك حيرتى وآلامى ؟..
أما يكفيك عذاب قلبى ؟..
أم أنك لعذابى تميلين ؟..

انضمّ العديد من طلبة الكلية إلى الحلقة، يستمعون إلى أُغنيته فى وَلَه، ولم يكد ينتهى منها حتى ساد الصمت لحظة، وقلوب الجميع تنبض بعذوبة اللحن، وصدق الإلقاء، ثم لم تلبث أكفّهم أن انطلقت تعبّر عن ذلك بتصفيق حاد، على حين راح (شكرى) ينفض عن نفسه ذلك التعبير الحزين، الذى ملأ ملامحه، تأثراً بقصيدته، وتطلع إلى (عايدة) فى لهفة، وأسعده أن رأى عبرة تنسال على وجنتيها، مؤكّدة تأثرها البالغ بأغنيته، وقد بدت ـ فى عينيه على الأقل ـ رقيقة،

ملائكية ، و (عماد) يهتف ، وكأنه يُطلعها على كشف جديد :

– ألم أقل لك ؟.. إنه موهوب بحق .

ولكنها لم تلتفت إليه ، وإنما اتجهت نحو (شكرى) قائلة فى همس :

– إن صوتك جميل معبّر حقًّا .

لم تكن أوّل مرة يسمع فيها (شكرى) كلمات الإعجاب والتقدير . إلا أن تقديرها له أسعده سعادة جمّة . وهو يغمغم :

– أشكركِ .. أشكركِ جدًّا .

– ومن أين أتيت بكلمات قصيدتك ؟

– إنها من وضعى أنا .

– غير معقول !!..

– لماذا ؟

تطلّعت إليه طويلا فى دهشة ، على حين ضحك (عماد) ، قائلا :

– ألم أقل لكِ إنه موهوب ؟.. إنه مطرب وشاعر ورسّام أيضاً ..

حدّقت فى وجه (شكرى) بإعجاب ، وهى تغمغم :

– وماذا عن اللحن ؟

– اللحن .. إنه ليس ملكاً لى .. لقد سمعت بحّاراً يونانيًّا يترنم به ذات ليلة . فراق لى ، وحفظته .

– لماذا لم تحترف الغناء أو الكتابة إذن ، ما دمت تمتلك تلك المواهب ؟

– إن الغناء وقرض الشعر ، والرسم . كلها – بالنسبة إلىّ – ليست سوى تعبيرات عن حالتى النفسية .. إننى أترجم أحزانى وأفراحى إلى غناء أو قصيدة ، أو لوحة .. ولكن الاحتراف يحتاج إلى استدعاء ذلك فى أية لحظة ، وبلا أية مشاعر ، لذا فأنا لا أصلح إلا هاوياً .

تأمّلته فى حيرة ، وكأنها تستكشف مخلوقاً غريباً ، إلى أن قطع (عماد) تأمُّلها ، وهو يقول :

- (عايدة) .. ألن تذهبى إلى محاضرة المحاسبة ؟

أفاقت من تأملاتها . وهى تتحول إليه ، قائلة :

- بالطبع .. ألن تحضرها معى ؟

غمغم فى حرج :

- آه .. نعم .. إننى لم ألتق بـ (شكرى) منذ بضعة أشهر ، ولا يليق أن أتركه وحده .

قال (شكرى) فى اهتمام :

- فلنذهب معاً إذن . فأنا أحب تعرّف المدرّج والأساتذة الجدد .

لكزه (عماد) فى جانبه . قائلا :

- هل نسيت أن (كمال) و (ماجد) ينتظراننا فى (الكافيتيريا) ؛ لنحتفل معاً بعودتك ؟.. ليس من اللياقة أن نتركهما ينتظران طويلا . والعام ما زال يمتد أمامك ، لتتعرّف كل الكلية فيما بعد .

ثم افتعل ابتسامة ، وهو يتطلع إلى (عايدة) ، مستطرداً :

- وسأستعير منك مذكّرة المحاضرات فيما بعد .. أليس كذلك ؟

لم تنبس (عايدة) ببنت شفة . ولمح (شكرى) على وجهها تعبيراً يمتزج فيه الغضب والأسى . ثم لم تلبث أن تركتهما . واتجهت نحو المدرّج فى خطوات سريعة ، تحمل نفس ذلك المزيج من المشاعر . فتابعها (شكرى) بعينيه . وهو يقول لـ (عماد) :

- لقد أحرجتها .

هزّ (عماد) كتفيه فى لا مبالاة ، وهو يقول :

- لا عليك .. أريد منها أن تفهم أن علاقتى بها قد أصبحت ثقيلة على نفسى .

- أليست صديقتك ؟

- إنها ترفض الاكتفاء بالصداقة . وتسعى إلى تحويلها إلى عاطفة حبّ ، من ذلك النوع الذى كان معروفاً فى القرون الوسطى .

- الحبّ هو الحبّ . سواء أكان فى القرون

الوسطى ، أو فى الحاضر ، أو حتى فى المستقبل .. هل أذنبت الفتاة لأنها أحبتك ؟

– وما ذنبى أنا ، ما دمت لا أبادلها الشعور ذاته ؟. أنت تعرفنى جيداً ، وأنا لا أومن بالحب ، ولا أطيق العلاقات العاطفية . التى تحد من حريتى .

– هل صارحتك بحبها يوماً ؟

– لا ، ولكن كل تصرفاتها معى تؤكـد ذلك .. لقد تعرفتها لأول مرة . حينما كانت تبحث عن مكان لها فى المدرج المزدحم ، فى أول أيامها هنا . بعد انتقالها من جامعة (الإسكندرية) ، وتطوعت بإفساح مكان لها إلى جوارى . ولست أنكر أنها قد اجتذبتنى فى البداية . فقد بدت لى شديدة الاعتزاز بنفسها وكبريائها ، على الرغم من حيرتها ، وأنت تعلم أن هذا النوع من الفتيات يروق لى ؛ لذا فلقد سعيت لتعرفها ، والتودد إليها و ..

أكمل (شكرى) قائلا :

– ثم سئمتها ومللت ارتباطك بها كما هى عادتك .

– نعم .. وخاصة حينما بدأت تحاصرنى بمشاعر قوية ، وعطف وحنان لم أعهدهما فى أية فتاة ممن عرفتهن من قبل .

– وما الذى يتمناه المرء فوق ذلك ؟.. صدقنى ، إننى أحسدك ، فكثيرون هم الذين يتمنون أن يلتقوا بفتاة مشبوبة العواطف مثلها .

– أما أنا ، فأخشى ذلك .. إننى أقدر مشاعرها ، ولكننى غير قادر على التجاوب معها ، فأنا أخشى العواطف المشبوبة ، وقيودها السخيفة ، ولقد رسمت لحياتى طريقاً عملياً ، لا تحكمه العواطف ، وخطواتى فى هذا الطريق لم تبدأ بعد ، فما زلت طالباً جامعياً ، ومن الغباء أن أقيد نفسى بعاطفة ، قد تتعارض مع مستقبلى فيما بعد .

– ألم تفكر يوماً فى أن هذه العاطفة ، قد تكون دافعك إلى النجاح ، وإلى المستقبل الذى تتمناه ؟

– مطلقاً .. لقد علمتنى الحياة أن الاستسلام للعواطف ، وما يستتبعها من قيود تحيط بالمحبين لا يؤدى

إلا إلى الفشل ، فالحب ليس مجرد سعادة وأحلام وردية على النحو الذى تشدو به فى أغنياتك ، والفتيات – بالنسبة إلىّ – كالزهور ، وأنا أُفضّل أن أكون نحلة تحط على كل الزهور ، وترتشف رحيق الواحدة بعد الأخرى ، دون أن تطالبها الزهرة بمقابل لذلك .. وهذا هو ما يحكم علاقتى بأية فتاة ، وما سيحكمها ، حتى أعثر على الفتاة التى تصلح كزوجة لى ، وحتى تلك ، لن يكون للعاطفة أى شأن فى اختيارى لها ، بل سيكون اختياراً عقليًّا محضاً .. والآن هيا نلحق بـ (كمال) و (ماجد) ، وكفانا مناقشات وأحاديث . فلقد تعرّفت – فى أثناء غيابك – ثلاث طالبات من كلية الآداب ، أُريد منك أن تتعرفهنّ ، وستجدهنّ أقل إثارة للمشاكل من (عايدة) تلك .

ضحك (شكرى) ، وهو يقول :

– يا لك من صديق سوء !! والعجيب أننى أميل إليك ، على الرغم من منطقك المعوجّ .

ولكن ضحكته لم تنطلق من أعماق قلبه ، فلقد كان هناك شعور غامض يملأ نفسه ..

ولقد حاول – فى تلك الليلة – أن ينعم بالنوم ، إلا أن صورة (عايدة) ظلت تطارده ، بوجهها المليء بالمشاعر والمتناقضات ، وشعر بتعاطفه مع مشاعرها النبيلة ، التى لا تلقى سوى الرفض والجحود من صديقه ، وخامره إحساس جارف بالشفقة ، نحو ذلك النبع الحزين ، المطلّ من عينيها ، مع شعور غامض لا يدرى كنهه ، يضع وجهها وصورتها أمامه ، حتى حينما يغلق عينيه .

شعور أطار النوم من عينيه ، ووضع أمامهما صورة واحدة ..

صورتها ..

* * *

٤ ـ ندم واعتذار ..

جلس (شكرى) بين صديقيه (كمال) و (ماجد)، يستمع إلى المحاضرة الأولى له، فى هذا العام، وأخذ (ماجد) يتثاءب فى ضجر، مبدياً عدم اهتمامه بالمحاضرة، على حين انهمك (كمال) فى كتابة كل كلمة، وقد ارتسمت على وجهه تعبيرات جادَّة، لم يعهدها فيه (شكرى) من قبل، مما أضحكه، وجعل (كمال) يلتفت إليه، ويهمس مُحنقاً:

ـ ما الذى يضحكك؟.

ـ هذه الجدية التى تملأ وجهك، والتى لا تناسبك على الإطلاق.

ـ هل نسيت أننا فى السنة النهائية؟.. وأن أمور اللهو، التى كنا نمارسها فى السنوات الماضية، لن تصلح لهذا العام؟.. وأننا ينبغى أن نلتفت إلى دراستنا على نحو جيد هذه المرة؟

غمغم (ماجد)، من خلال تثاؤبه:

ـ عمَّ تتحدَّثان؟

أجابه (شكرى):

ـ لا شىء.. اصمت واستمع إلى شرح المحاضر، فأنا أرى فى عينيه نية طردنا جميعاً من المدرَّج، وأكره أن تنتهى محاضرتى الأولى بالطرد.

لاذ الجميع بالصمت والاستماع، حتى انتهت المحاضرة، فنهض (ماجد) خلال الاستراحة القصيرة، قبيل المحاضرة التالية، قائلا فى ضجر:

ـ سأخرج لتناول بعض المرطبات، هل يرغب أحدكما فى مصاحبتى؟

أجابه (شكرى) بلهجة تأنيب:

ـ اجلس أيها الكسول، لن نغادر المدرَّج قبل انتهاء المحاضرات.

وابتسم، وهو يتطلع إلى (كمال)، مستطرداً:

ـ أليس كذلك؟

كمال:

ـ بالنسبة إلىَّ لن أعبأ بكما، ولن أتخلَّف عن حضور أية محاضرة.

ماجـــد :

– عليكما اللعنة !! إنكما لم تتركا لى الخيار ،
ولا مفرَّ من البقاء معكما .

ثم بدا عليه الاهتمام، وهو يتلفّت حوله مستطرداً :

– أين (عماد) ؟ .. إننى لم أره اليوم !

أشار (كمال) إلى أعلى المدرَّج ، وهو يقول :

– ها هو ذا يأتى ، مع صديقته المكتئبة دوماً .

تلاحقت دقّات قلب (شكرى) فى سرعة عجيبة ،
حينما وقع بصره عليها ، وتلاشى مرحه وسخريته بغتة ،
ليحلّ محلهما ذلك الشعور الغامض ، الذى حرمه نوم
البارحة ، وسمع (ماجد) ينادى (عماد) ، وهو يشير
إليه قائلا :

– (عماد) ... نحن هنا .

لوّح لهما (عماد) ، وهو يهبط من درجات المدرَّج
نحوهما ، تتبعه (عايدة) ، حتى وصل إليهم ، فضحك
قائلا فى سخرية :

– صباح الخير أيها الصعاليك ، ما كل هذا

النشاط والعزم ؟ .. لقد تصورت أننى سأراكم خارجاً !

ماجد :

– يبدو أن صديقينا يهدفان إلى التفوق هذا العام .

ثم استدرك فى سرعة ، وهو يلتفت إلى (عايدة) :

– معذرة .. صباح الخير يا (عايدة) .

اغتصبت ابتسامة باهتة ، وهى تغمغم :

– صباح الخير يا (ماجد) .

ثم التفتت إلى (شكرى) ، مستطردة :

– صباح الخير يا (شكرى) .

قاوم (شكرى) تلعثمه وخجله ، وهو يغمغم :

– صباح الخير يا (عايدة) .

وهبّ (كمال) واقفاً، وهو يقول بجديته الحديثة :

– لِمَ كل هذه التحيات؟.. ألن تنضمّا إلينا ؟..
لقد حجزت لكما مكاناً إلى جوارنا ، والمحاضرة توشك
على البدء ، ولا داعى لإضاعة الوقت فى التحيات .

حكّ (عماد) رأسه ، قائلا :

– لا مانع .. ما رأيك يا (عايدة) ؟ هل نتنازل

ونقبل حضور المحاضرة القادمة مع أولئك الصعاليك ؟

امتزجت ابتسامتها بالسخرية ، وهى تقول :

ـ وهل تنوى الفرار من محاضرة اليوم ، كما فعلت أمس ؟

لوَّح بكفه ، قائلا :

ـ حسناً .. حسناً .. لا داعى للتأنيب .. يبدو أن الكل يتحالف ضدّى اليوم .

ثم التفت إلى رفاقه ، مستطرداً :

ـ افسحوا لنا مكاناً إلى جواركم أيها النُّجَباء .

وجاء مجلس (عايدة) بين (عماد) و (شكرى) ، الذى شعر أنه ينفصل عن كل ما حوله ، ومن حوله ، وكأن وجودها إلى جواره يطغى على كل مشاعره وحواسه ..

إنه شعور عجيب ، ينتابه لأول مرة فى حياته .

شعور مُرْبك ، محيِّر ، إزاء فتاة لم يلتق بها إلا بالأمس القريب ..

ليس العطف أو الشفقة إذن ما يجذبه إليها ، بل هو شعور طاغ عنيف ..

أهو حب من النظرة الأولى ؟ ..

يا للسخرية ! ! ..

أيمكن أن يحدث هذا له هو ؟ ..

أيمكن أن يكون لتلك الرومانسية ، المعروفة باسم الحب من أول نظرة ، وجوداً فى القرن العشرين ؟

كلاً .. كلاً .. إنها بضع إرهاصات فحسب ، وكل ما هناك أنه عاطفى بعض الشىء ، وقد حرَّك ذلك المزيج من الحزن والكبرياء والتحدّى فى ملامحها مشاعره ..

أو هو الفضول ..

نعم .. إنه هو ، فهذه الوجوه ذات التعبيرات المركّبة ، والأحاسيس المختلفة ، تستهويه دوماً ، وتثير فضوله ، والوجوه السطحية العادية قلَّما تستهويه ، مهما بلغ جمالها ، ربما لأن قصائده تعبِّر دوماً عن أحاسيس مختلفة ، ومشاعر فيّاضة ، تخفيها الكبرياء ، وهو يشعر أنها تنتمى تماماً إلى قصائده وأفكاره ..

شعر (شكرى) بالارتياح إلى هذه النتيجة ، التى توصَّل إليها عقله ، والتى صوّرت له أن الشاعر فى أعماقه

هو الذى بهرته (عايدة) ، وأن مشاعره نحوها مجرَّد انبهار فنَّان بمصدر وَحْى ..

وحانت منها التفاتة إليه ، فرأته يتأمَّلها فى صمت ، ولم تكد عيونهما تلتقى ، حتى حوَّل بصره عنها فى سرعة ، وهو يخشى أن تكون قد أدركت ما تنبض به عيناه ..

وانتهت المحاضرة ، فالتفت (عماد) إلى أصدقائه ، قائلا :

ـ سيدعونى أحدكم لتناول شطيرة ، بعد انتهاء المحاضرة القادمة ، فأنا لم أتناول إفطارى حتى الآن ، ولقد نسيت إحضار أية نقود .

همست (عايدة) فى حنان :

ـ ولماذا غادرت منزلك دون تناول طعام الإفطار ؟

ـ لست أحبّ تناول طعام الإفطار فى ساعة مبكرة .

ـ سأحضر لك بعض الشطائر إذن ، اعتباراً من الغد ، وسأهتمّ بإفطارك بنفسى .

شعر (عماد) بالحرج ، وهو يختلس النظر إلى

(كمال) و (ماجد) ، اللذين تغامزا ، وأطلق أحدهما صفيراً طويلا ، فسعل (عماد) على نحو مفتعل ، وهو يقول لها :

ـ لا داعى لذلك .

ـ كلاَّ .. سأعدّ لك طعام الإفطار بنفسى ، وسأحرص على أن تتناوله أمامى .

كانت تتحدَّث فى حنان وأمومة ، حرَّكا مشاعر (شكرى) ، وجعلاه يتمنى لو أنه فى موضع (عماد) ، وهو الذى يفتقر دوماً إلى ذلك النوع من الاهتمام ..

كل الفتيات ، اللاتى عرفهن فى حياته ، كنّ يعجبن بصوته ، أو مرحه ، أو لباقته ، وخاصة حينما يجامل إحداهن بعبارة رقيقة ، ولكنه لم يحظ باهتمام خاص من أية واحدة أبداً ، على هذا النحو من الحنان والحب ، اللذين افتقدهما من أمه فى طفولته ، وهى التى كانت تولى اهتمامها كله لعملها ، كمصمِّمة أزياء ، فتقضى به نهارها كله ، وتعود إلى منزلها فى المساء ، مرهقة ، متوترة ، لا تجد لديها الوقت أو الجهد ، للاهتمام

بطفلها ، الذى يفتقر إلى الحنان والعطف والأمومة .

أفاق على صوت (كمال) يهتف فى جزع :

– ماذا بك يا (عماد) ؟ .. هل تشعر بأى ألم ؟

التفت إلى (عماد) ، الذى أمسك رأسه بكفيه ، وقطَّب جبينه ، وهو يغمغم :

– فقط صداع بسيط .

هتفت (عايدة) فى جزع :

– سأحضر لك قرصاً من الأسبرين .

– قلت إنه مجرّد صداع بسيط .

– كلاً .. إنك تبدو مرهقاً للغاية .

صاح بها (عماد) فجأة فى حِدَّة :

– لماذا تفرضين وصايتك علىَّ دوماً ؟ .. إننى لا أحتاج إلى أسبرين أو غيره .. قلت لكِ إنه مجرد صداع بسيط ، ولا داعى لكل تلك المبالغات ، التى تبدينها نحوى .

حدَّقت (عايدة) فى وجهه بحرج وذهول ، وعضَّت شفتيها ، وكأنها تعتصر بينهما إحساسها بالمهانة ،

ثم لم تلبث أن اندفعت تغادر المدرَّج ، قبل أن تفقد سيطرتها على دموعها ، فتُفلت من عينيها ، على حين تسمر أصدقاء (عماد) الثلاثة فى وجوم ، إلى أن انفجر (شكرى) هاتفاً فى انفعال :

– لماذا تصرَّفت معها على هذا النحو ؟ .. لماذا تصرّ دوماً على جرح شعور تلك المسكينة، التى لاذنب لها ، سوى أنها تبدى نحوك عاطفة صادقة لا تستحقها ؟

بدا الشعور بالندم على وجه (عماد) ، وهو يغمغم فى اعتذار :

– لست أدرى..حقيقة لست أدرى لماذا انفعلت على هذا النحو .

ماجد :

– ينبغى أن تلحق بها ، وتعتذر لها .

كمال :

– نعم .. لقد جرحت مشاعرها فى عنف .

عماد :

– إنها لن تتقبَّل اعتذارى الآن ، فأنا أعرفها

جيداً .. إنها شديدة الاعتداد بنفسها ، وحساسة للغاية ، ولن تغفر لى هذا التصرُّف معها فى سهولة .

ماجد :

– هل تحبّ أن أعتذر أنا لها ، بالنيابة عنك ؟

عماد :

– كلاً .. ربما كان من الأفضل أن تمقتنى ، وتبتعد عنى ، فأنا لا أصلح لها .

شكرى :

– عماد ، إنك تخشى أن تقع فى حبها . أليس كذلك؟

عمـاد :

– ربما كنت على حق .. لست أدرى .

كمال :

– دعونا نستكمل محاضرات اليوم إذن ، ولنناقش هذا الأمر فيما بعد .

ولكن (عماد) أمسك بذراع (شكرى) ، قائلا :

– (شكرى) .. إنك أكثرنا لباقة ، هل يمكنك أن تنوب عنى فى الاعتذار لها ؟

ارتبك (شكرى) ، وهو يغمغم :

– أنا ؟!

عمـــاد :

– نعم ، فهى حساسة للغاية ، مثلك تماماً ، وستجيد التعامل مع أحاسيسها المرهفة ، فأنا أفتقر إلى ذلك .

غمغم (شكرى) ، محاولا الاعتذار :

– (عماد) .. إننى ..

قاطعه (عماد) فى لهفة :

– (شكرى) .. أرجوك ، الحق بها قبل أن تغادر الكلية ، وحاول أن تفهمها أننى لم أقصد ما فعلته بهـا .

تطلّع إليه (شكرى) فى حيرة ، وهو يغمغم :

– إننى أعجز أحياناً عن فهمك .

أطرق (عماد) برأسه ، وهو يغمغم فى خفوت :

– وأنا أيضاً .. أنا أيضاً أعجز عن فهم نفسى .

وخفق قلب (شكرى) فى انفعال ، وقد بدا له أن قلب (عماد) قد بدأ يخفق بالحب .. حب (عايدة) ..

* * *

٥ ـ لحظات صدق ..

هتف (شكرى) بـ (عايدة)، قبل أن تغادر الكلية:

ـ لحظة يا (عايدة) .

توقفت ، والتفتت إليه ، فاستطرد فى حرج :

ـ إننى أعتذر ، بالنيابة عن (عماد) ، وتأكدى من أنه لم يقصد جرحك بكلماته .. إنه متعب فحسب .

ران عليهما الصمت لحظة ، قبل أن تقول هى :

ـ لست بحاجة إلى من يعتذر ، بالنيابة عنه .. ثم إنه لم يخطئ فى حقى .. بل أنا المخطئة .

غمغم (شكرى) فى ارتباك :

ـ (عايدة) .. إنه ..

قاطعته فى حزم :

ـ إنه لم يبد نحوى أية عاطفة حقيقية ، بل أنا التى توهمت ذلك ، وحاولت أن أفرض عليه عواطفى .

شكرى :

ـ كلاَّ يا (عايدة) .. إن (عماد) يحبك ، وإن كان يجهل ذلك حتى الآن .

عايدة :

ـ صدقنى يا (شكرى) ، ولا تظن قولى مجرد جرح كبرياء ، أو دماء كرامة .. أنا أيضاً أشعر ـ فى هذه اللحظة ـ أننى أخطأت تفسير مشاعرى نحو (عماد) وأننى لم أحببه حقًّا كما توهمت .

هتف (شكرى) فى دهشة :

ـ وهل من الممكن أن يجهل المرء حقيقة عواطفه ، على هذا النحو ؟

قالت وكأنها تناجى نفسها :

ـ تأتى على كل منا لحظة ، يكتشف فيها أن حبه لم يكن سوى وهماً ، ومزيجاً من الخيال والمشاعر الزائفة .. لقد ترك أبى أمى ، وأنا بعدُ فى العاشرة من عمرى .. هجرنا هكذا ، فجأة ، بلا مقدمات ، ودون أدنى خطأ من جانبنا ، واختفى دون أن نعرف له مقرًّا أو طريقاً ، سوى أنه قد تزوَّج من أخرى ، وغادر (مصر) نهائيًّا .. وكنت أحبه فى شدة ، وكان هو ، حتى آخر لحظة قضاها معى ، مثالاً للأب الحنون

العطوف الكريم؛ لذا فقد بدا لى هجره لنا ـ حينذاك ـ محيِّراً ، ومربكاً لمشاعر طفلة صغيرة كُنتها ، ولم أكرهه ، أو أحقد عليه ، على الرغم من خيانته لأمى ، فقد كان حبى له أكبر من قدرتى على الكراهية ، ولكننى ظللت أتساءل دوماً : لماذا هجرنا هكذا ، فجأة ؟ .. وكيف تبدَّلت مشاعره ، التى كنت أراها صادقة ، فجعلته يقوى على فراقنا ، وعلى حرمانى من حبه وحنانه ، طوال تلك السنوات .. لقد أصابنى ذلك بصدمة كبيرة ، تحولت على إثرها إلى فتاة تعسة ، منطوية ، بلا أصدقاء أو زملاء ، حتى صاروا يطلقون علىَّ لقب (ذات الوجه الكئيب) ، إلى أن التقيت بـ (عماد) ، وأشعرنى باهتمامه وحنانه ، منذ اللحظة الأولى ، التى وطئت فيها أقدامى مدرَّج الكلية ، وسواء أكان تصرفه نحوى ـ حينذاك ـ صادقاً أم لا ، إلا أنه كان أول شخص يبدى اهتماماً حقيقيًّا بى ، منذ فارقنا أبى ، ولقد وجدت فى حنانه ما ذكرنى بأبى ، فتعلقت به ، وتوهمت أننى أحبه ، ولكن ها هى ذى لحظة

الصدق قد جاءت ، لتكشف أن أحدنا لم يكن يحب الآخر ، فلم يكن اهتمام (عماد) بى يتعدَّى اهتماماته بأية فتاة يتعرَّفها ، ولم تكن عواطفى نحوه نابعة من حبّ حقيقى ، بقدر ما كانت تهافتاً على عاطفة أبويَّة مفقودة ؛ لذا فلا تظن أننى حزينة أو غاضبة لما حدث ، ولو كانت لدىَّ هذه المشاعر ، فلأننى انسقت وراء مشاعرى وأوهامى ، وجعلت لحظة الصدق تتأخر حتى الآن ..

ران عليهما الصمت مرة أخرى ، شعر خلالها (شكرى) أنه لا يجد ما يقول ، إلى أن عادت هى تردف :

ـ لست أدرى لماذا بُحت لك بكل هذا ، على الرغم من أن عمر تعارفنا لا يتجاوز اليومين .

شكرى :

ـ ربما لأننا نتشابه كثيراً ، فالحرمان من الحنان والعواطف لا يكون دوماً بالفراق ، بل قد يكون من نحبهم معنا ، ولكننا نفتقد مشاعرهم وعواطفهم .. لقد فقدتِ أباكِ ، الذى هجركم وأنت بعدُ صغيرة ، أما أنا

فقـــد حرمتنى أمى من مشاعرها وعواطفها وحنانها ، حينما تجاهلت ابنها وزوجها ، وانغمست فى دوّامة العمل ، الذى منحته كل اهتمامها ورعايتها ، حتى تحوّل من وسيلة إلى غاية ، وانصرف الأب بدوره إلى ملذّاته ، وهو يتخذ من التهاء زوجته عنه عذراً وتبريراً يُسكت به ضميره ، وترك الاثنان الابن متعطّشاً للمشاعر والعواطف ، التى يحصل عليها ويحتاج إليها من فى مثل عمره، حتى اعتاد ذلك .. ولقد كان الناس يروننا دوماً أسرة ناجحة ، مترابطة ، على حين لم نكن أبداً كذلك، بل كنا أسرة متفسّخة ، لا تربط أفرادها أية مشاعر حقيقية .. لست أنكر أن والدىّ قد وفّرا لى كل المتطلبات المادية ، ولم يبخلا علىّ بشىء ، ولكن متى كانت المادة تغنى عن العواطف .. إنها قد تكون – فى بعض الأحيان – ترجمة لها ، ولكنها لا تُغنى عنها أبداً .. لقد نشأت أنا أيضاً منطوياً ، منعزلا .. عالمى هو حجرتى الصغيرة ، التى كنت أغلقها علىّ وحدى، وأردّد بين جدرانها أنغامى ، وأكتب فيها قصائدى ،

التى تنقل أحزانى ومشاعرى ، إلى أن قرّرت يوماً التمرد على عزلتى ، والبحث عما أفتقده من عواطف فى صداقاتى ، وعلاقاتى الاجتماعية ، وهذا ما فعلته منذ أول أيام الجامعة ، حتى أصبحت – كما علمت – ذلك النجم اللامع فى حفلات الجامعة ، وصاحب المواهب المتعددة ، الذى يحظى بأكبر قدر من الصداقات والعلاقات .. أما فى أعماقى ، فمازلت ذلك الشخص الباحث عن الحب، المتعطّش إلى الحنان، المفتقد لكل المشاعر الرومانسية ، التى تُرضى أحاسيسه ، وتتفاعل معها ؛ لتعوّضها حرمانه من عواطف أبويه ..

وتوقف عن الحديث لحظة ، قبل أن يستطرد :

– صدقينى يا (عايدة) .. أنا أيضاً لست أدرى لماذا بُحت لك بكل هذا ؟!.. كل ما أشعر به هو أنه كان من الضرورى أن أفعل ، وأن أبوح لك وحدك من دون الآخرين ، بكل ذلك .

رأى الألم يرتسم على وجهها ، والدموع تنسال على وجنتيها ، فغمغم فى دهشة :

- (عايدة) !! .. أتبكين ؟ .

مسحت دموعها ، وهى تغمغم :

- لقد تأثَّرت بقصتك .

ناولها منديله ، لتجفف دموعها ، وهو يقول فى عطف :

- لقد قابلت الكثيرين ، ممن يستهويهم ذلك البريق الزائف ، الذى أضفيه على نفسى .. بعضهم استعذب غنائى ، وبعضهم تأثر بكلمات قصائدى ، وبعضهم تجاوب مع آرائى ومناقشاتى ، ولكننى لم أتخيَّل أننى سألتقى يوماً بمن يبكى من أجلى !

أشاحت بوجهها ، وهى تغمغم :

- أتسمح لى بالانصراف ؟

لم يُجبها .. ولم تنتظر إجابته ، بل انصرفت فى هدوء ، وتركها هو تفعل ، وهو يتابعها بعينيه ، وفى أعماقه صوت يهتف :

- أحبك .. هذه هى الحقيقة الوحيدة ، التى

تملأ نفسى الآن ، ولم يعد من الممكن أن أخفيها خلف أية مسميات أخرى .. إننى أحبك .. أحبك .. أحبك .

* * *

سأله (عماد) فى خفوت :

- لقد غادرت الكلية .. أليس كذلك ؟

شكرى :

- نعم .. اسمع يا (عماد) .. هذه الفتاة تعانى عقدة نفسية ، وهى تحتاج إلى من يفتح لها قلبه ، دون أن يبخل عليها بحنانه .. إنسان يحترم مشاعرها وظروفها .

عماد :

- إن ما تقوله يؤكِّد صدق إحساسى ، وهو أنه لا يصلح لـ (عايدة) سواك ، ولا يصلح لك سواها .

اضطرب (شكرى)، وارتبك ، وهو يقول :

- (عماد) ؟! .. ماذا تقول ؟

- الحقيقة .. أننى لا أصلح لـ (عايدة) ، وهى لا تصلح لى .. ربما تمنيت يوماً فتاة مثلها ، ولكننى أعلم أن طبائعنا ومشاربنا تختلف ، فأنا عملىّ واقعىّ ، منذ

نشأتى ، ولست أبغى ، من علاقتى بأية فتاة ، سوى التسلية ، أو تحقيق المنفعة ، ولقد أخبرتك من قبل ، أننى حينما أتزوَّج ، سيكون ذلك بلا عاطفة ، وأنا أقول لك ذلك ؛ لأنك صديق ، وليس من العيب أن أكون صريحاً معك ، فأنا لست من الطراز العاطفى ، الذى يفتح قلبه للآخرين ، ويتجاوب مع معاناتهم وأحاسيسهم ، وربما صادقتك ، وحرصت على ذلك ؛ لأنك تمثل لى ما أفتقده فى نفسى ، وما أتمنى أن أكونه .. نعم يا (شكرى) .. لقد تمنيت دوماً أن أصبح مثلك ، على الرغم من أننى لا أملّ ترديد أن أسلوبى هو الأصلح لهذا العصر .. وربما كان هذا هو نفسه ما جذبنى إلى (عايدة) .. المشاعر الصادقة .. الأحاسيس العميقة .. تلك الأشياء التى أفتقدها فى نفسى .. ولكن تبقى حقيقة أن كُلاًّ منا يختلف عن الآخر تماماً ، وأن حبنا لم يكن سوى وَهْم .

شكرى :

– إنك تردِّد نفس ما قالته منذ قليل .. يا للعجب !

عمــــاد :

– ألم أقل لك ؟ .. الإنسان الذى تحتاج إليه (عايدة) ، والذى يمكنه أن يفتح لها قلبه ، ويغمرها بحنانه ، هو أنت يا (شكرى) ..

شكرى :

– ولكن ..

عمــــاد :

– ولكن ماذا ؟ .. أتنكر أنك أحببتها ؟ .. إنك صديق ، ولا يمكنك أن تخفى عنى مشاعرك .. الطريقة التى تتحدث بها عنها ، وذلك الانفعال المطلّ من عينيك يؤكِّدان أنك تحبها .. ربما تحاول إنكار ذلك ، مراعاة لصداقتنا ، أو ربما أنك لم تدرك تلك الحقيقة فى نفسك حتى الآن ، ولكننى أؤكد لك أنك تحبها .

كاد (شكرى) يهتف بأنه يحبها ، وبأن هذا الحب هو الحقيقة الوحيدة فى حياته الآن ، ولكن فجأة ظهر (كمال) و (ماجد) ، ومعهما مجموعة من الزملاء والزميلات ، وقال (كمال) :

- ما هـذه الأحاديث الجانبية ؟ .. ألم نتفق على الالتقاء فى (الكافيتيريا) ، بعد انتهاء المحاضرات .

ابتسم (عماد) ، قائلا :

- كنا فى طريقنا إليكم .

قال (كمال) لـ (شكرى) ، فى صوت أقرب إلى الهمس :

- قل لى ، هل اعتذرت لـ (عايدة) عن الإساءة التى وجهها إليها هذا الصعلوك ؟

ماجـــد :

- لو أننى فى موضعها ، ما قبلت أية اعتذارات .

قال (عماد) فى نبرة جادّة :

- ليس المهم هو الاعتـذار عن الخطـإ ، وإنـما إصلاحــه .

وتطلّـع إلى (شـكرى) بنظرة ذات مغــزى ، مستطرداً :

- وأعتقد أن (شكرى) سيصلح الأخطاء .

حكّ (كمال) رأسه ، مغمغماً :

- لست أفهم .. ما معنى تلك الكلمات الغامضة ؟. أية أخطاء تتحدثون عنها ؟ وأية إصلاحات ؟

عمـــاد :

- ولكن (شكرى) يفهمنى جيّداً .. هيّا بنا إلى (الكافيتيريا) .

شكرى :

- سأستأذنكم فى الانصراف ، فأنا أشعر بالإرهاق وأحتاج إلى العودة إلى منزلى فوراً .

قال عبارته وانصرف على الفور ، وحينما حاول (ماجد) مناداته ، استوقفه (عماد) ، قائلا :

- دعه يذهب ، فهو يحتاج إلى الجلوس مع نفسه قليلا .

ماجـــد :

- ما الذى أصابه ؟.. هل انتقلت إليه عـدوى الاكتئاب من صديقتك ؟

كمـــال :

- يبدو أنكما تخفيان سرّاً .

ابتسم (عماد) ابتسامة راضية ، وهو يقول :

– كلاّ .. ليست هناك أية أسرار .. إننى أفسح له مجالا ، كى يخطو نحو ما يريد فحسب ، وسأتخلص فى الوقت ذاته من مأزق ، كدت أوقع نفسى فيه .

التفت (كمال) إلى (ماجد) ، يسأله فى حيرة :

– هل فهمت شيئاً ؟

هزّ (ماجد) كتفيه قائلا :

– أبداً .

وضع (عماد) يده فوق كتفيهما ، وابتسم وهو يقودهما إلى (الكافيتيريا) ، قائلا :

– هيّا .. ستجعلكما الأيام القادمة تفهمان .. هذا ما أرجوه .



٦ – الحب الخائف ..

كان الحفل ، الذى أقامته كلية التجارة ، فى ذلك العام ، متميّزاً ، غير تقليدىّ ، قُدّمت فيه العديد من الفقرات والطرائف ، واجتذبت إليها عدداً كبيراً من طلاب الكليات الأخرى ، وكان (شكرى) – كعادته – نجم الحفل ، وهو يشدو ببضع أغان وطنية وعاطفية ، أثارت حماس زملائه ، وتجاوبهم ، وهم يطالبونه بالمزيد ، وواصلت (عايدة) تصفيقها له ، حتى بعد أن توقف الآخرون ، على حين صعد أصدقاؤه (عماد) و (كمال) و (ماجد) إلى خشبة مسرح الكلية ؛ لتهنئته.

وفجأة سقط (شكرى) فاقد الوعى ..

لم يستردّ وعيه إلا بعد عدة ساعات ، ليجد نفسه ممدّداً فوق أريكة صغيرة ، فى حجرة أحد أساتذة الكلية ، وحوله أستاذه الدكتور (رءوف) ، الذى يعجب به ، ويشجّعه دوماً ، وأصدقاؤه الثلاثة .. ، و (عايدة) .. وإلى جواره طبيب يجسّ نبضه فى اهتمام ، فقال وهو يفتح عينيه فى صعوبة :

— ماذا حدث ؟..

ابتسم الطبيب ، قائلا :

— حمداً لله على سلامتك .. لقد كانت مشكلة بسيطة هذه المرة ، ولكننى أُحذِّرك من الإفراط فى التعب ، وإرهاق نفسك مرة أخرى .

وقال له أُستاذه :

— يبدو أنك قد أرهقت نفسك كثيراً ، خلال الأيام الماضية ، ما بين محاضراتك ، ومحاولات استعادة ما فقدته خلال الشهرين اللذين تغيبتهما عن الكلية ، واستعداداتك لحفل الكلية ، فأدَّى ذلك إلى إصابتك بحالة من الضعف والهبوط .

ونهض الطبيب واقفاً ، وهو يقول :

— سأتركك الآن مع أصدقائك ، فقد انتهت مهمتى ، ولكننى أنصحك بالعودة إلى منزلك فوراً ؛ لتحصل على قدر من الراحة ، ولقد وصفت لك بعض المقويات اللازمة .

تناول منه (ماجد) التذكرة الطبية ، وهو يقول :

— سأحضر الدواء بنفسى .

وتحول الدكتور (رءوف) إلى باقى الأصدقاء ، قائلا :

— تعاونوا على نقله إلى سيارتى ، وسأنقله إلى منزله بنفسى .

قال (عماد) :

— بعد إذنك يا دكتور .. سأنقله أنا بسيارتى إلى منزله .

التفت الدكتور (رءوف) إلى (شكرى) ، وقال قبل أن يغادر الحجرة :

— حاول أن تحصل على قدر وافر من الراحة .. وبالمناسبة ، كان غناؤك الليلة رائعاً .

ابتسم (شكرى) ، مغمغماً :

— شكراً لك يا دكتور .

غادر الدكتور (رءوف) الحجرة ، فاقتربت (عايدة) من (شكرى) ، وهى تقول :

— حمداً لله على سلامتك .

التقت عيناه بعينيها مرة أخرى .

لم يشأ أن يقول إن الإرهاق ، الذى أصابه ، كان وليد الليالى الطويلة ، التى حُرِمَ فيها من النوم ، وهو يجاهد عاطفته نحوها.. لم يشأ أن يخبرها أن ابتعادها عنه ، بعد حديثهما ، وتجنبها لقاءه طوال الأيام التى تلت ذلك ، جعلاه يدرك أنها ، وإن كانت قد نفضت عنها عواطفها نحو (عماد) ، وعلى الرغم من تشابههما فى تعطشهما للحب الصادق الحقيق ، إلا أنه من الواضح أنها لم تجد فيه ذلك الحبيب الذى تنشده ، كما وجد فيها الحب والحنان ، اللذين يبحث عنهما .. وأنها ، حينما أحست بعواطفه نحوها، قد حاولت تجنُّبه ، والابتعاد عنه ، حتى لا تصدمه برفضها له .. كان حائراً ، يتساءل : أمشاعره هذه حقيقية أم لا ؟..

أيصرِّح لها بعاطفته نحوها ؛ ليقطع الشك باليقين ، أم يخفيها بين ضلوعه ؛ ليطوى معها قصة لقائه بها ، ومشاعره التى تفجَّرت مع اللحظة الأولى لهذا اللقاء ؟..

ثم إنه يشعر أن الوضع - بأسره - شاذ عجيب ،

فقد تعرَّفها وهى ملك صديقه ، ومثالياته تأبى احتلال موضع هذا الصديق ، حتى ولو كان موضعاً وهميًّا ، أو لو كان هذا الصديق نفسه هو الذى يستحثُّه على الاندفاع نحو كشف مشاعره لها ..

لذا فهو يفضِّل أن يبتعد عنها بدوره ، وينأى بنفسه عن تجربة حب يائس ..

ولكن ما كان هذا الابتعاد ليقتلع رياح حب عاتية فى صدره ، بعد أن أصاب سهم الحب قلبه ، وصار من المستحيل أن يقتلعه .. لقد صار حائراً ، ما بين حبه لـ (عايدة) ، وكل ما يباعد بينها وبينه ..

بين رغبته فى التصريح لها بمكنون قلبه ، وخوفه من ألا يلقى هذا التصريح استجابة من جانبها ،فتتضاعف آلامه .. بين الظروف التى صاحبت لقاءها به ، وتلك الأحاسيس التى تدفعه ، على الرغم منه ، إلى التعلُّق بها ، والانجراف نحو حبها ، كما ينجرف السيل من التلال إلى السهول ..

وهذا ما يثقل أيامه ، ويضنى لياليه ، فلم يعد

جسده أو عقله يقويان على الصمود ، إزاء كل هذه الأحاسيس والمشاعر المتضاربة ..

لم يعد ذلك أبداً ..

* * *

تحرّكت السيارة بالأصدقاء ، فى طريقها إلى منزل (شكرى)، وقد جلس (عماد) و (كمال) فى المقعدين الأماميين ، وجلس (شكرى) إلى جوار (عايدة) ، التى أصرّت على اصطحابه حتى منزله ، أما (ماجد)، فقد ذهب لإحضار الدواء ، واللحاق بهم ..

وطوال الطريق، كان (شكرى) يتطلّع أمامه ، وهو يحرص أشد الحرص على ألا تلتقى نظراته بنظرات (عايدة) ، فتشى بضعفه أمامها ، إلا أن دقّات قلبه كانت تبدو ـ من شدة عنفها ـ مسموعة ، تكاد تنقل إليها ما يحاول إخفاءه ، و (عماد) يراقبهما فى مرآة سيارته ، ثم أوقف السيارة بغتة ، وهو يقول :

ـ اسمحوا لى . سأذهب لشراء علبة سجائر .

وغادر السيارة ، وهو يقول لـ (كمال) :

ـ (كمال) .. تعال معى .

تراجع (كمال) فى مقعده ، مغمغماً فى دهشة :

ـ لماذا ؟.. ألا تعرف كيف تبتاع علبة سجائرك بمفردك ؟

قال (عماد) فى إصرار :

ـ قلت لك : تعال ..

ـ وهل سنترك (شكرى) وحده ؟

ـ لن نتغيّب طويلا .. ثم إن (عايدة) معه .

هبط (كمال) من السيارة متثاقلا ، وهو يقول :

ـ معذرة يا (شكرى) ، فصديقك هذا عجيب ، وعديم الذوق أيضاً، فليست هناك ضرورة ملحّة لشراء تلك السجائر الآن بالذات ، قبل إيصالك إلى منزلك أولا ، خاصة وأنت متعب .

ابتسم (شكرى) ، قائلا :

ـ لقد أصبحت فى خير حال ، لا داعىَ لتضخيم الأمور كعادتك .

ولم يكد يبتعد مع (عماد) ، حتى قال فى حنق :

– هل تسمح بتفسير أهمية شراء علبة السجائر الآن بالذات ؟.. وسر إصرارك على اصطحابى لك ؟

أجابه (عماد) بلهجة جادة :

– ألا تفهم أبداً ؟.. ألا تعلم أننى قد تعمدت ذلك لأفسح المجال لـ (عايدة) و(شكرى)؛ كى يتحدّثا معاً، ويخبر كل منهما الآخر بما لا يمكنهما أن يتفوّها به أمامنا .

تطلّع إليه (كمال) فى دهشة ، مغمغماً :

– وما هو ما لا يمكنهما التفوّه به أمامنا ؟

عماد :

– إن كليهما يحب الآخر أيها الغبى .. كل تصرفاتهما تشى بذلك .

فغر (كمال) فاه ، هاتفاً :

– (شكرى) ، و (عايدة) ؟!.. كيف ؟.. إن (عايدة) وأنت ... أعنى أنت و (عايدة) ..

قاطعه (عماد) :

– لو أنك تبصر ما أمامك فى وضوح ، لعلمت أن ما بينى وبين (عايدة) قد انتهى تماماً .

كمال :

– مستحيل ! ! لقد كنت أظنه مجرّد جفوة حب ! ولكن ألا يغضبك هذا ؟ أعنى (عايدة) و (شكرى) ! !

عماد :

– لماذا ؟.. إن حبى لـ (عايدة) لم يكن سوى وهماً ، ولايوجد ما يمنع من أن تحلّ محله صداقة وزمالة عميقتان .. ثم لماذا لا أتمنى لصديقين كـ (عايدة) ، و (شكرى) ، أن ينعما بعاطفة حقيقية تسعدهما ؟

قال (كمال) فى سخرية :

– لا تحاول إيهامى بأنك على هذا القدر من المثالية.

ابتسم (عماد) ، وهو يقول :

– ولِمَ لا ؟ ما دام ذلك لا يكلفنى شيئاً ، ويمكننى أن أكون أكثر مثالية ، لو أن تلك المثالية ستجنبنى بعض المتاعب، التى أنا فى غنى عنها ، كتلك العواطف المعقّدة ، التى لا تناسبنى على الإطلاق ..

فى نفس اللحظة كانت (عايدة) تلتفت إلى (شكرى) ، قائلة :

– ينبغى ألا تهمل صحتك بعد الآن ، وأن تعنى بنفسك جيِّداً .

ولكنه باغتها ، قائلا :

– (عايدة) .. لماذا تفرِّين منى ؟

تطلَّعت إليه طويلا ، وقد باغتها سؤاله ، وحارت فى البحث عن جواب ، فأشاحت بوجهها تجاه النافذة ، دون أن تنبس ببنت شفة ، فاستطرد (شكرى) فى صوت مختنق :

– (عايدة) .. إننى أحبك .. أحبك حبًّا لا نظير له ، وكنت أتمنى أن يصل إلى قلبك ، دون الحاجة إلى التصريح به .

ترقرقت فى عينيها دمعة تأثر ، وهى تقول :

– أأنت واثق من أنه حب حقيقى ؟.. ألا يحتمل أنه مجرَّد شفقة نحو إنسانة تفتقد الحب الصادق فى حياتها ؟

– أنا أيضاً أفتقد ذلك الحب يا (عايدة) .

– من المحتمل إذن أنها مشاركة وجدانية ، بين اثنين يفتقدان الحب والحنان منذ طفولتهما .

– لماذا تعقِّدين العواطف على هذا النحو يا (عايدة) ؟.. إن الحب يتضمَّن كل هذه المشاعر مجتمعة .. الحب حنان وشفقة ومشاركة وجدانية ، وأحاسيس مشتركة ، متبادلة .

هتفت فى حِدَّة :

– وقد يكون وهماً أيضاً .. أو خداعاً .

– أتشيرين إلى تجربتك مع (عماد) ؟

انسالت الدموع على وجنتيها ، وهى تقول :

– بل إلى أبعد من ذلك .. إلى تجربتى الأولى فى الحب .. حبى لأبى .. لقد كان صادقاً فى حبه حينذاك ، وجعل المرحلة الأولى من طفولتى سعيدة مشرقة ، ثم اختفى فجأة ، وتحوَّل حبه الأبوىّ الكبير إلى وهم وسراب .

– لقد كنتِ حينئذ طفلة ، وربما أنك لا تعرفين كل الحقيقة .. ربما حدث ما حتَّم ذهاب والدك .. وحتى لو كان الأمر كما تروين ، فمن الخطإ أن تقضى عمرك كله أسيرة لتلك التجربة .. لقد رويت لكِ تجربتى فى الحرمان من الحب والحنان ، فى ظل والدين

ألهتهما الحياة عن طفلهما الوحيد ، ولكن هذا لم ينل من إيمانى بوجود أنواع أخرى من العواطف الدافئة ، والمشاعر الحانية ، وما أشعر به نحوك الآن واحد من هذه المشاعر .. إنه حب حقيقى صادق ، وليس وهماً أو خداعاً ..

قالت فى صوت يشفُّ عن عاطفتها :

ـ أريد أن أصدِّق كلماتك ، لأن هذا هو نفس ما أشعر به نحوك ، وإن كنت لم أعد أثق فى إحساساتى ومشاعرى ، وصرت أتشكك فى كل شىء .. فى عواطفى نحو الآخرين ، وفى عواطف الآخرين نحوى .

قال فى حب وحنان :

ـ منذ الآن لا شك ، ولا وهم ، ولا أحزان .. فقط حب .. حب صادق حقيقى .. إننى أشعر أن كلاً منا سيعوض الآخر عما افتقده فى حياته من عاطفة وحنان يا (عايدة) .. وسيكون (شكرى) دوماً لـ (عايدة) ، و (عايدة) دوماً لـ (شكرى) ..

وبدأ الحب يغزل أول خيط فى نسيجه الوردىّ ..

* * *

٧ ـ السؤال الحائر ..

عرفت كلية التجارة كلها مدى عمق الرابطة ، التى تجمع بين (شكرى) و (عايدة) ، وتابعوا نمو العاطفة ، التى نشأت بينهما يوماً فيوماً ، وأيقن الجميع ـ وليس (شكرى) و (عايدة) وحدهما ـ أن الزواج والارتباط الأبدى ، هما النتيجة الحتمية لتلك العلاقة ، بعد تخرّج الاثنين من الجامعة ، ولم يكن حب (شكرى) لـ (عايدة) هادئاً عاديًّا ، وإنما كان جارفاً فيَّاضاً ، وجد تربته الخصبة فى نفس رومانسية حالمة ، مفعمة بالعواطف ، ترويها مياه حب دافئة ، وعلى الرغم من افتقار (شكرى) إلى الحنان والحب فى طفولته ، وتعطّشه إليهما ، إلا أن هذا لم يحوّله أبداً إلى شخص جاف جامد ، كما كان متوقّعاً ، وإنما جعل أعماقه تختزن من العواطف والمشاعر أضعاف ما حُرِمَ منه ، وكان هذا المخزون يظهر أحياناً فى كلمات قصائده ، أو صدق إنشاده لأغنياته ، وكانت تلك المواهب المتعددة ، المعلقة بوجدانه ، والتى منحها إياه الله

(سبحانه وتعالى)، وسيلته للتعبير عن مكنونات نفسه ، ولكنها كانت وسيلة قاصرة ، عاجزة عن إبراز كل ما تنطوى عليه أعماقه من أحاسيس ومشاعر فيَّاضة ؛ لذا فقد تفجَّر كل ذلك فى قوة، حينما عثر على الحب، متمثَّلاً فى (عايدة) ، وتحوَّل (شكرى)، نجم حفلات الجامعة ، الذى يحسده الكل على ذلك الرصيد الهائل من المعجبات ، اللاتى يُحطن به دوماً ، والذى يعدّه البعض صاحب أكبر قدر من العلاقات العاطفية ، إلى طفل صغير ، يلهث خلف عواطفه ، وكأنما يستعيض بها عن حب والديه فى طفولته ، ولم تكن حاجته تقتصر على الأخذ فقط ، وإنما أيضاً على العطاء .. العطاء لتلك الإنسانة ، التى اختارها قلبه .. أعطاها كل ما اختزنه ، طوال تلك السنين .. إن أمه وأباه لم يمنحانه الفرصة للتعبير عن مشاعره ؛ لأن الحب مشاعر متبادلة ، وهما لم يحسنا التعبير عن مشاعرهما نحوه ..

كانا يريان أنه مادام يأكل أجود الطعام ، ويرتدى أفخر الثياب ، وينام على أنعم فراش ، ويتمتع بأصح

عافية ، فقد أديا واجبهما نحوه ، ولا توجد لديهما أية وسيلة أخرى ؛ للتعبير عن حبهما له ..

وكان (شكرى) يحتاج إلى من يبادله مشاعره الحبيسة ، وكانت (عايدة) هى من يحتاج إليه ، ولقد شعر أن وسيلته الوحيدة للتعامل معها ، هى أن يحرص على إحاطتها بكل الحب والرعاية والحنان ، وأن يعوِّضها عن الأب الغائب ، والحبيب المنتظر ، ولقد وجدت فيه (عايدة) جزءاً من نفسها ، كما وجدت فيه التعويض عن حرمانها من عاطفة الأبوّة فى طفولتها ..

ولو بحثنا عن شخصين متشابهين ، يكمل كل منهما الآخر تماماً ، فلن نجد أفضل من (شكرى) و (عايدة) ، قبل أن تبرز خلافاتهما إلى الوجود ..

لقد أصبح (شكرى) أكثر حرصاً على محاضراته واستذكاره ؛ حتى يصبح جديراً بتلك الفتاة التى أحبها ، وتضاعف إحساسه بالمسئولية ، وهو يدرك أن النجاح والعمل هما وسيلته للاقتراب من حبيبته ، والزواج منها ..

وبعد انتهاء المحاضرات ، كانا ينطلقا معاً ، منفردين . يرسمان خطوط مستقبلهما وأحلامهما ، وذات يوم قالت له (عايدة) فى دلال :

– (شكرى) .. أتحبنى حقًّا ؟

أزاح بأصابعه خصلة من شعرها ، تهدَّلت فوق جبينها ، وهو يقول :

– ألا زلت تشكِّين فى ذلك ؟.. إن كلمة الحب وحدها لا تكفى للتعبير عن شعورى نحوك ، فما أحمله لك فى قلبي من مشاعر يتجاوز الحب كثيراً .. لقد أصبحت لى كل شىء .. الحبيبة ، والصديقة ، والأم ، والابنة .

– أشعر أحياناً أن هذا أكثر مما أستحق .

– بل هو أقل مما تستحقين .. ألا تدركين ما قدَّمت لى؟ لقد منحتنى كل ما افتقدته من سنوات عمرى الماضية .

تأملت وجهه فى وَجْد ، قائلة :

– أحبك .. أحبك يا (شكرى) .. ولست أتصوَّر الحياة بدونك .. إننى لم أنطق هذه الكلمة أبداً ، ولم أشعر يوماً بحاجتى لنطقها ، ولم أتصوَّر أن أنطقها

يوماً بلا خجل ، كما أحب الآن أن أقولها لك دوماً ، وأردِّدها مع كل دقة من دقات قلبى ، الذى شَفَيْتَ جراحه بحبك .. (شكرى) .. أسمعنى إحدى قصائدك .

– سأسمعك قصيدة كتبتها خصِّيصاً من أجلك .

هتفت فى فرحة طفولية :

– حقًّا ؟!

– إنها تعبِّر عن بعض ما أكنّه لك من حب .

– (شكرى) .. إننى أتلهَّف لسماعها .

تطلّع إلى عينيها ، وهو يقول فى همس محب :

غداً يا حبيبتى سأراك ..

وأعود من غربتى إلى موطنى .

إلى عينيك ..

ما عهدت لى فى الدنيا عالماً سواك ..

ما عرفت للدفء طعماً إلا بين يديك ..

عالمى المجهول أنتِ ، لا يعلم إلا قلبى سره ..

فى بحار نفسك احترفت الغوص وفنه ..

عشت لى دوماً يا حبيبتى ..

أنت عندى رحيق الفردوس ، وزهره ..
أحبك أنت دنياى وجنّتى ..
وأشعر أن كل ما يقال فى الحب هزلٌ ..
بعد أن عرفت فيك الحب كله ..
أغمضت عينيها منتشية بكلماته .. وهى تغمغم :
– ما أرقّ عباراتك وأجملها !!
– ليس أجمل منها سوى مَنْ كتبتُها من أجلها .
تأمّلته برهة ، ثم قالت :
– (شكرى) .. أيمكننى أن أفعل شيئاً ، دون أن يغضبك ؟
– لا يمكن أن أغضب .. مهما فعلت .
التقطت يده بغتة ، وقبّلتها فى سرعة ..
فهتف فى دهشة ، وهو يسحب كفه من راحتها :
– لِمَ فعلت ذلك ؟
– أمن العجيب أن أقبّل يد الإنسان ، الذى جعل قلبى ينفتح للحياة ، وجعل عينىّ تريان إشراقة الدنيا ؟
– لقد أعطيتِ هذا الإنسان أضعاف ما أعطاك

يا (عايدة) .. لقد منحتنى من السعادة ما يجعلنى أنا المدين .. لا الدائن ..

* * *

تعاقبت الأيام والشهور ، وحبهما يزداد عمقاً وتألّقاً ، وتمرّ بينهما أحياناً سحب المشاكل الصغيرة ، إلا أنها لا تلبث أن تنقشع ، إزاء قوة وصلابة حبهما ، الذى لم يكن أبداً عائقاً ، أمام تحصيلهما العلمى ، بل على العكس دفعهما فى قوة وإصرار نحو النجاح والتفوّق ، لتحقيق الأمل المنشود ، وتطويق ذلك الحب الرائع برباطه المقدّس ، حتى لقد أثبتا للجميع أن الحب الحقيقى هو الذى يثمر ، ويبنى ..

إلى أن بدأت (عايدة) تتغير ..

لم يكن تغيّرها ملحوظاً فى البداية ، ولكن (شكرى) كان يشعر بالحيْرة أحياناً ، حينما تبدو له مخلوقة أخرى غير التى عرفها ، حتى بدأ ذلك التغير ينعكس عليه بدوره ؛ لينال من صفاء حبهما ، ويجذبهما نحو معاول هدم شرسة ، لا تتوانى عن دك أعظم المشاعر وأسماها ..

وحتى هذه اللحظة ، يعجز (شكرى) عن تحديد كيف ولماذا هوت تلك العاطفة القوية ، التى كانت يوماً مضرباً للأمثال !!.. وهـل كانت (عايدة) وحـدها المسئولة عن ضياع هـذا الحب ؟.. أم أنه يتحمـّل معها قدراً كبيراً من المسئولية ؟.. أكان حبهما ، الذى تصـوّراه هائلا منيعاً ، أعجز من أن يتحمـّل خلافهما ، الذى بدأ بسيطاً ، ثم تفجّر بغتة ؛ ليغدو صراعاً عنيفاً ؟.. أم أنه كان حبّا مثاليّا ، لم يصمد أمام طبيعة العصر ، ورذائل البشر ؟ ..

الشىء المؤكد الوحيد هو أن (عايدة) هى التى بدأت تستسلم لطبيعتها العنيفة المتقلبة التى هذّبها الحب فى البداية ، ثم لم تلبث أن استعادت قوتها ، وهاجمته بلا رحمة ..

ما يزال (شكرى) — حتى اليوم — يتساءل عن كيف حدث هذا التطوّر ، الذى جعل حبهما يتراجع بغتة ، بكل هذه الشراسة ، وبلا أدنى مبرّرات ..

وسيبقى ذلك التساؤل الحائر فى أعماقه ، حتى يرحل عن هذه الدنيا ..

٨ — فتاة متقلبة ..

بدأ ذلك ذات يوم ، حينما كانا يتناولان بعض المرطبات أمام (الكافيتيريا) ، حينما صافحته إحدى زميلاته ، وهى تقول :

— (شكرى) !!.. لماذا لم نعد نراك كثيراً فى مجالسنا ، أو حفلات السّمر ؟

ابتسم ، قائلا :

— أنت تعلمين أن الامتحانات باتت وشيكة ، وينبغى أن أستعدّ لها كما يجب .

داعبته ، قائلة :

— الامتحانات فقط .. أم (عايدة) ؟

— كلاهما فى الواقع .

التفتت إلى (عايدة) ، قائلةً فى خبث :

— حذار يا عايدة) .. كتب التجارة تنافسك .

لم تتفوّه (عايدة) بحرف واحد ، ولكن ملامحها حملت بوادر الضيق والانفعال ، فأسرع (شكرى) يحاول إنقاذ الموقف ، وهو يحوّل دفة الحديث ، سائلا زميلته :

– وما أخبار الاستذكار معك ؟

– تقصد المعاناة .. لست أخفى عليك أننى أشعر وكأن كل المعلومات تتبخر من عقلى ، وأننى أحتاج إلى جهد كبير ؛ لألتقى مع كتبى ، عدة ساعات يوميًّا ، وكأننى سجينة .

ضحك (شكرى) ، وهمّ بتبسيط الأمر لها ، ولكن (عايدة) تركتهما فجأة ، وابتعدت غاضبة فى خطوات سريعة ، دون أن تعتذر لها ، أو تستأذنهما ، وشعر الاثنان بالحرج ، إزاء ذلك التصرّف المفاجئ العنيف ، ولم يملك (شكرى) سوى أن يعتذر لزميلته ، مغمغماً :

– يبدو أنها تذكرت شيئاً ما ، وذهبت للبحث عنه.

غمغمت زميلته ، محاولة تجنيبه الحرج :

– نعم .. يبدو ذلك .. وعلى أية حال ، ينبغى أن تلحق بها ، فقد تكون فى حاجة إليك .

انطلق (شكرى) يبحث عنها ، والتقى فى طريقه بـ (ماجد) ، فسأله فى لهفة :

– لم تر (عايدة) ؟

– رأيتها تتجه نحو موقف السيارات ، ويبدو أنها غاضبة ؛ فقد ألقيت عليها التحية ، فلم تردها بحرف واحد .

أسرع إليها (شكرى) ، ووجدها ترتكن على مقدّمة إحدى السيارات ، وعيناها تحملان بوادر ثورة مكتومة ، فسألها فى قلق :

– (عايدة) .. لماذا تصرّفت على هذا النحو ؟

– وكيف أردتَ أن أتصرّف ؟.. أكنت تريد أن أقف ساكنة ، وهى ترنو إليك بكل هذا الإعجاب ، المطلّ من عينيها ؟

– أى إعجاب هذا ؟.. إنها مجرّد زميلة .

– أتظننى غبية إلى هذا الحد ؟.. أم أنك لاتشعر بنفسك ؟.. لقد كدت تلتهمها بعينيك .

– أنا ؟!.. إن حديثنا لم يتجاوز الدراسة والاستذكار ، فلا داعى لتضخيم الأمور ، وأنا لم أعهدك بمثل هذه الغيرة الحمقاء .

ـ لا تتهمنى بالحماقة .

ـ لننس الأمر برمته إذن .

ـ هناك أمور لا تحتمل النسيان .

ـ (عايدة) .. لم يحدث ما يستحق كل هذا .

ـ بل حدث ، وكلكم من نوع واحد .. كل الرجال لديهم استعداد غريزى للخيانة .

ـ أنت تعلمين أننى لست ذلك النوع من الرجال .

ـ لست أعلم شيئاً .. لماذا تظن أنك تتميز عن الآخرين ؟

ـ أنت تعلمين مقدار حبى لك ، ولا داعى لأن تحول عقدتك القديمة ، الخاصة بأبيك ، بيننا .

صاحت فى غضب :

ـ أتقول إننى إنسانة معقدة ؟

حاول أن يهدئ من ثائرتها ، مغمغماً :

ـ لم أعن ذلك أبداً .

ـ بل تعنيه .. وهذا ما يدور فى عقلك .. لقد أخبرتك منذ البداية أنك تظننى مجرد إنسانة ، تستحق شفقتك ، لا حبك .

ثم انفجرت باكية ، فربّت على ظهرها ، هامساً فى حنان :

ـ انزعى هذا الوهم من عقلك يا (عايدة) ، وثقى فى حبى لك ، ولتعلمى أنه لم ولا ولن يكون هناك مجال فى قلبى وعقلى لسواك .

أخذت انفعالاتها تهدأ تدريجيًّا ، حتى عادت إلى طبيعتها الأولى ، وهى تغمغم :

ـ (شكرى) .. لست أدرى كيف تصرّفت على هذا النحو ؟.. يبدو أننى مصابة بعقدة نفسية بالفعل .

غمغم فى هدوء ، محاولا التسرية عنها :

ـ الغيرة شعور جيّد ، يؤكد أن المرء طبيعى ، وليس معقّداً ، ما دامت فى الحدود المعقولة .

ـ كلاّ .. الأمر ليس مجرّد غيرة ، وإنما شعور قوى بالخوف ، يجعلنى أخشى أن أفقدك ، كما فقدت أبى .

ـ سيقضى حبنا على كل المخاوف ، وسيثبت أنها لم تكن أبداً فى محلّها ، والآن دعينا نلحق بمحاضرة

الدكتور (رءوف) ، فهى آخر محاضراته ، ولا ريب إنها ستكون شديدة الأهمية .

ومرّت الزوبعة فى هدوء هذه المرّة ...

* * *

أطلّت والدته من باب حجرته ، وهى تقول فى هدوء :

– لقد جاء صديقاك لزيارتك يا (شكرى) ، وهما ينتظرانك فى حجرة الجلوس .

– حسناً .. سأذهب إليهما .

– بالمناسبة ، سأتأخر الليلة فى (الأتيليه) .. أتريد شيئاً ؟

– لا ..

ذهب للقاء صديقيه (ماجد) و (كمال) ، وهو فى حالة مزرية ، بشعره الأشعث ، وذقنه التى تبدو وكأن موسى الحلاقة لم تمسّها منذ أيام ، فابتدره (ماجد) ، قائلا فى سخرية :

– أكنت تقضى أيامك الماضية فى أحد السجون ؟

لم يعبأ (شكرى) بما قاله صديقه ، فقد ألقى جسده فوق أحد المقاعد ، وغاص فيه فى وجوم ، وعيناه تحملان ملامح يأس شديد ، جعل (كمال) يسأله فى لهفة وقلق :

– ماذا بك يا (شكرى) ؟ .. ولماذا لم تحضر إلى الكلية ، منذ ثلاثة أيام ؟

أجابه (شكرى) فى وجوم ، ودون أن يلتفت إليه :

– لم تعد لى رغبة فى الذهاب إلى الكلية ، ولقد اقترب موعد الامتحانات ، وأحتاج إلى التفرّغ ، لاستذكار دروسى ، واستعادتها .

ماجد :

– أبدأت تكذب على أصدقائك ؟

انفعل هاتفاً فى حِدّة بلا مبرّر :

– صدّقا ما يحلو لكما ، ولكنها الحقيقة .

اقترب منه (كمال) ، وقال فى نبرة جادة هادئة :

– (شكرى).. إننا أصدقاؤك.. أخبرنا بالحقيقة ، أهى مشاكلك مع (عايدة) مرة أخرى ؟

وغمغم (ماجد) :

ـ أراهن أن هذا ما يجعلك تعساً إلى هذا الحد .

شكرى :

ـ لم أعد أفهم تلك المخلوقة على الإطلاق ! ! .. إنها تبدو وكأنها تسعى لتدمير كل شيء بيننا . إنها تبدو لى أحياناً كملاك رقيق ، يفيض حبًّا وحناناً ، ثم إذا بها تتحول فجأة إلى النقيض ، وإلى شيطان من العناد والعصبية ! !

كمال :

ـ ماذا حدث بينكما أخيراً .

شكرى :

ـ خلاف من ذلك النوع ، الذى يبدو تافهاً ، بلا معنى ، ثم لا يلبث أن يتحول فجأة إلى إعصار مدمِّر ، لا يهدأ ، ولا يُبقى ، ولا يَذَر .

ماجد :

ـ اسمح لى أن أقول إنك المسئول عن كل هذا .

هتف (شكرى) فى دهشة :

ـ أنا ؟ !

ـ نعم .. لقد رأينا وسمعنا عشرات من قصص الحب التى نشأت داخل جدران الجامعة وخارجها ، ولكننا لم نر عاطفة متطرِّفة ، كتلك التى تكنها لـ (عايدة) .. لقد انسقت خلف عواطفك فى جنون ، ومثالية متطرِّفة ، لا مكان فيها للعقل ، وحاولت أن تتعامى عن كل ما رأيته فيها من عيوب واضحة منذ البداية ، وأنت تصرّ على جعلها تنطبق على صورة رسمها خيالك، للإنسانة التى ستحبها يوماً ، على حين لم تكن (عايدة) أبداً تلك الإنسانة السويَّة ، وعليك أن تعترف بذلك، فسواء أكانت عقدتها النفسية تحكمها ، كما تقول ، أو أن الخير فيها يتعادل مع الشر ، إلا أنه من الواضح ، خلال تلك الأشهر ، التى استمرَّت فيها علاقتكما ، أنها ليست ذلك الملاك ، الذى صوَّره لك خيالك .

شكرى :

ـ كنت واثقاً من أن حبي وعطائى سيحوِّلانها إلى ذلك الملاك ، فلست كـ (عماد) ، الذى لم يحبها من

البداية ، ولا يوجد مخلوق واحد فى هذا العالم ، يمكنه أن يحبها كما أفعل أنا .

أطرق (كمال) ، قائلا :

— (ماجد) على حق فيما قاله يا (شكرى) ، فأنا أيضاً لاحظت تلك التغيرات التى اعترتك ، منذ عرفت (عايدة) ، ولو أنك على استعداد لسماع نصيحتى الصريحة والمخلصة فى هذا الشأن ، فحذار .. حذارِ من هذا الحب الذى راهنت به على حياتك ومستقبلك .. حذارِ ..

* * *

— لِمَ تفعلين ذلك ؟

— ماذا فعلت ؟

— أتتصورين أنك بتلك التصرفات ، التى تفتعلينها مع الزملاء ، ستكسبين حبى أو احترامى ؟

— إننى أردّ على بعض تصرّفاتك المماثلة أمس .

— مافعلته أمس لا يندرج تحت اسم (الخطإ) ، فلا عيب فى مجاملة زميلة ، فى عيد ميلادها ، بكلمة لطيفة ، وهدية صغيرة ، ثم إننى أريد منك أن تتخلّى

عن هذا الأسلوب فى التعامل معى ، فلا تجعلى تصوّرك لخطإ ارتكبته ، يدفعك إلى تصرّف أحمق أرعن .

— لست أسمح لك بأن تصفنى بالحماقة أو الرعونة ، فأنا أفعل ما أراه صحيحاً ، بالنسبة إلىّ .

— وحبنا يا (عايدة) .. ألا يفرض عليك نوعاً من الالتزام ؟

— لو أنك تتصوّر أن هذا الحب سيجعلك تفرض الوصاية على تصرّفاتى ، فأنا فى غنى عن حبك .

— بهذه البساطة ؟!

— نعم .. فكرامتى فوق كل اعتبار ..

— وماذا عن كرامتى أنا ؟ .. أليس لها أدنى اعتبار لديك ؟

— إننى لم أجرح كرامتك بشىء .

— ألا ترين فى سلوكك مع أولئك الشبّان ، ما يجرح كرامتى ، ويثير مشاعرى ؟

— سيكون هذا هو ردّى على كل تصرّف خاطئ منك .. سأعاملك بالمثل .

– حذار يا (عايدة) .. التحدّى يدمر الحب ، ويعصف به دوماً .

– قل بصراحة إنك تبحث عن مبرِّر ؛ للتخلص منى .. عموماً ، لست أفرض نفسى عليك .

– أأنا الذى يفتعل الأزمات ؟

– إذن فلديك الاستعداد .. ليكن فى علمك إذن أننى سأتركك ، قبل أن تتركنى أنت .

حاول أن يهدئ من ثائرتها ، وهو يقول :

– حسناً .. دعينا نغيِّر هذا الموضوع الشائك .

– ولماذا لا نصل إلى نهايته ؟ .. قل كل ما يملأ نفسك الآن ، فلقد أصبحت كثير الانتقاد لى فى الآونة الأخيرة ، ولو أنك ترى أننى لم أعد أناسبك ، فقل ذلك الآن .. قل إنك تكرهنى .. قلها .

فقد السيطرة على أعصابه أخيراً ، فهتف فى عصبية :

– نعم .. تصرّفاتك هذه جعلتنى أكرهك .. أيريحك هذا ؟

تقلّصت ملامحها ، وارتسم الهلَع على وجهها ، وهى تهتف فى صوت مختنق :

– أنا أيضاً أكرهك .. أكرهك وأرفض حبك .

ثم تفجّرت الدموع من عينيها ، وانطلقت تُهرْوِل مبتعدة ، فزفر هو فى عمق ، معبراً عن يأسه وضيقه .

ثم لم يلبث ذلك الشعور بالندم أن عاوده ، حينما هدأت نفسه ، فأسرع يبحث عنها ؛ ليطيِّب خاطرها ..

تماماً مثلما فعل فى المرة الأولى ، حينما اعتذر لها ، بالنيابة عن (عماد) ..

وتماماً مثلما يفعل فى كل مرّة ..



٩ ـ انتظار وملل ..

حبيبتى (عايدة) ..

إنها المرة الأولى ، التى أكتب فيها إليك ، بعد أن مضت فترة طويلة ، توقفت فيها عن استخدام تلك الوسيلة للتعبير عن مشاعرى وأفكارى ، وصدقينى .. لقد ترددت طويلا ، قبل أن أمسك قلمى ، وأعود إلى أوراق ؛ لأكتب إليك .. لأبثك عواطفى ، وأشكو إليك همومى .. ولست أدرى لماذا ؟ .. ربما ؛ لأننى خشيت ألا تتقبلين ما أكتبه الآن ، على نفس النحو الذى تقبلته به فى الماضى .. وربما ؛ لأننى أعتز بمشاعرى ، حينما أخطها بقلمى على الأوراق ، دون ذلك التشتيت ، الذى تضطريننى إليه ، حينما أنقلها إليك على لسانى ، بتيار من الانفعالات وردود الأفعال ، أنأى بنفسى عن الانسياق خلفها .. وربما ؛ لأننى يئست من أن يكون لما أكتبه نتيجة ، أو أمل فى تحقيق الاستقرار والأمان لحبنا ، فكل شىء قد ينهار فى لحظة انفعال ، تتحولين خلالها من حبيبة إلى عدوة ..

وما جدوى الكلمات ، ما دامت تعجز عن الوصول إلى قلبك ، الذى أقمت بينه وبينها حاجزاً .. بل حواجز من الشك والغضب ..

ولكننى قررت ـ مرة أخرى ـ أن أكتب إليك .

أتدرين لماذا ؟ ..

لأنه على الرغم من كل العذاب ، الذى ألقاه معك ، مازلت أشعر أنك (عايدة) ، التى أحببتها ، والتى تحاولين تشويهها .. نعم .. لقد سبق أن أخبرتك مراراً : أنك عدوة نفسك ، ولكننى أوقن أن ذلك الجزء الطيب الوديع الحنون فى أعماقك ما زال حيًّا ..

لقد شعرت بهذا أمس ..

رأيته فى لمسة حنان أبديتها نحوى ، حينما رأيتنى مريضاً، على الرغم من إصرارك على بقاء الجفوة بيننا .

إن المخلوقة ، التى أحببتها ، ما زالت تحتفظ بكل رقتها وحنانها، فلا تدعى شكوكك وانفعالاتك تقتل هذا ، ولا تدعى تلك المخلوقة الأخرى ، التى تتقمص شخصيتك ، تغتال حبنا ، وتحرمنا سعادتنا وهناءتنا .

ليتنى أدرس طبيعة النفس البشرية ، لعل هذا يمكننى من نزع ذلك الجانب السيء من أعماق نفسك ، فلا أترك سوى المخلوق الرائع ، الذى أحببته ، وليتك تستجيبين لنصيحتى ، حينما أطالبك باستشارة طبيب نفسى ، دون أن تظنى أننى أتهمك بالجنون ، أوأدفعك إليه ، كما قلت لى من قبل ..

إننى أحبك .. أحبك بكل ذرة من كيانى ، وأريد أن أحفظ هذا الحب من الضياع ، بأية وسيلة كانت ، ومهما كان الثمن ، ولتعلمى أننى — مهما كانت الظروف — لن أتخلى عن هذا الحب أبداً .. أبداً .

حبيبك المخلص

شكرى

قرأ (شكرى) هذا الخطاب ، وهو يجلس فى حجرته الصغيرة ، يسترجع ذكرياته مع (عايدة) ، وارتسمت ابتسامة حزينة على شفتيه ، وهو يطويه فى بطء ، ويضمه إلى باقى الأوراق ، ثم يلتقط من بينها خطاباً آخر ، يحوى جانباً من ذكرياته ..

خطاب أرسلته إليه (عايدة) ، بعد أسبوعين من انتهاء امتحانات السنة النهائية ، والجفوة قائمة بينهما كالمعتاد ..

وفضّ الخطاب ، وراح يقرأ فحواه ، وهو يسترجع ذكريات قراءته له لأول مرة ..

حبيبى (شكرى) ..

حينما يصلك خطابى هذا ، أكون قد سافرت إلى إحدى الدول الأوروبية مع أمى وخالى ، حيث استقرّ المقام بالأخير إلى عمل هناك ، واسمح لى أن أحتفظ باسم هذه الدولة سرًّا ، حتى لا تحاول البحث عنى ..

لقد بذلت جهداً كبيراً ؛ لأقنع نفسى بالابتعاد عنك ، على الرغم من الحب الكبير ، الذى كنت ومازلت أحمله فى قلبى لك ، وعلى الرغم من كل الصراعات التى نشبت بيننا ، ولكن كان ينبغى لى أن أتوقّف ، وأتساءل مع نفسى : أى حب هذا ، الذى يمكنه أن يحيا وسط صراعات وخلافات متصلة ، تحيط به من كل جانب ، وتكاد تعصف به وتحطمه ؟ .

من يدرى ؟ .. ربما كنت إنسانة مريضة بالفعل ، وأحتاج إلى علاج نفسى - كما تقول - وربما ينبغى أن أقتنع بذلك ، وأكفّ عن العناد والمكابرة ، فمن المستحيل أن يكون ذلك الحب الكبير ، الذى جمع بين قلبينا ، مصدراً لتعاسة كلينا ، على هذا النحو ..

إننى أحتاج إلى الابتعاد عنك قليلا ، ولقد وجدت فى هذا السفر المفاجئ فرصة مناسبة لذلك ..

وسأتبع نصيحتك .. سأعرض نفسى على كبار الإخصائيين فى الخارج ، لعلهم يجدون علتى ، ويشفوننى منها .. سأفعل ذلك من أجلك ، قبل أن يكون من أجلى ..

من أجل أن أصبح جديرة بحبك ..

من أجل أن أستحق حنانك ..

من أجل مشاركتك الحفاظ على عاطفتنا النبيلة ، التى أكره أن أكون السبب فى ضياعها ..

وأعدك - إذا ما شفيت - أن أعود إليك (عايدة) أخرى ، رقيقة ، حنوناً ؛ لنكمل ذلك الحلم ، الذى

بدأناه معاً فى الكلية ، ولنتوّجه بزواج دائم ، ورابطة قوية ..

أما لو فشلت ، فلن ترانى أبداً ..

سأختفى من حياتك إلى الأبد ؛ حتى لا أتسبب فى تعاستك ، أو كراهيتك لى ..

سأختفى ؛ حتى يظل ذلك الحب باقياً فى قلبك ..

وتذكّر دائماً أننى إنما أفعل ذلك من أجلك .. من أجلك وحدك ..

وانتظرنى ..

انتظرنى مهما طال الزمن ..

حبيبتك المخلصة

(عايدة)

وهكذا رحلت (عايدة) ..

اختفت من حياة (شكرى) فجأة ، كما ظهرت فيها فجأة .. بلا مقدمات ..

وتجاوز (شكرى) الصدمة بعد شهر واحد من رحيلها ..

بعد أن قرَّر أن يطرح أحزانه جانباً ، ويحيا من أجل ذلك الأمل ، الذى وعدته به ..

الأمل فى عودتها إليه يوماً ..

إنه لا يبغى الآن سوى عودتها ، على أى نحو كانت ..

سيغفر لها كل إساءاتها فى حقه .. وكل تقلّباتها.. المهم أن تعود ..

ولن يتخلّى عن ذلك الأمل أبداً ، ولن ينساها .. مهما طال الزمن ..

* * *

من العجيب أن (شكرى) و (عايدة) قد نجحا فى السنة النهائية ، على الرغم من كل الأحزان والصراعات ، التى عاشاها فى الأشهر الأخيرة ، ولم يعد (شكرى) ذلك الشاب المرح ، نجم حفلات الجامعة وصاحب الصوت الدافئ الحنون ، المحاط دوماً بالمعجبين والمعجبات ..

صار شخصاً آخر ..

فرّ من لوعة الفراق بالانغماس فى العمل ..

حوّل أحزانه وأتراحه إلى عمل دائب نشط . لا يكلّ ، ولا يتوقّف؛ من أجل صعود سلم النجاح . فى الشركة التى التحق بها ، بعد تخرّجه من الجامعة . حتى وصل إلى منصب يحسده عليه مَنْ فى مثل عمره ..

لقد فعل هذا من أجلها ، وفى انتظار عودتها ..

أرادها أن تعود ، فتجده إنساناً ناجحاً ، متفوّقاً ، جديراً أن يصبح زوجها ، لا رجلا يائساً ضائعاً ، لا يستحق حبها ..

وما دامت هى قد سعت لتقاتل نفسها من أجله . فلن يكون هو أقلّ إصراراً منها على مقاتلة أحزانه ..

ولكن السنين تعاقبت ، وطالت .. ولم تعد (عايدة) ..

وعلى الرغم من ذلك ، لم يتخلّ (شكرى) عن الأمل فى عودتها إليه يوماً ..

لم يتخل عنه أبداً ..

* * *

١٠ ـ أسير الماضى ..

أنبأته سكرتيرته ذلك اليوم ، بقدوم أحد أصدقائه لزيارته ، فنهض لاستقباله فى حرارة ، وهو يهتف :

ـ (ماجد) .. مرحباً بك .

أجابه (ماجد) معاتباً :

ـ لا ترحيب ولا تحيات .. لولا المناسبة التى جئتك من أجلها ، ما كنت لأزورك قط .

هتف (شكرى) فى دهشة :

ـ لماذا يا (ماجد) ؟

ـ ألا تعلم لماذا ؟.. لقد مضى شهران كاملان لم تفكر خلالها فى زيارتى ، أو السؤال عنى .. أنسيت (ماجد) صديق عمرك ؟ أم أنك قد أصبحت جاحداً ؟

ـ من حقك أن تعاتبنى يا (ماجد) ، ولكن الله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ، كم أنا مشغول للغاية .. لقد زادت أعبائى ومسئولياتى ، ورئيس الشركة هنا يحملنى الكثير من العبء ؛ لأنه يثق بى كثيراً .

قال (ماجد) متهكماً :

ـ لأنه يثق بك كثيراً ، أم لأنك أنت تتكالب على المزيد من العمل ، خوفاً من أن تنفرد بنفسك ، فتراجعها عما آل إليه حالك ؟

ـ ماذا تقصد ؟

ـ أنت تفهم مقصدى جيداً ، ولقد تحدثنا عنه مراراً ، بلا فائدة ، لقد مضى ثلاثة عشر عاماً ، منذ تخرجنا من الجامعة ، وأنت تفرّ من تلك الحقيقة ، وترفض مواجهتها ، أو التوقف مع نفسك لحظة واحدة لتسألها : إلى أين يمضى بك الطريق ؟ وإلى متى تظل أسير ذلك الوهم ، الذى سجنت فيه عمرك ، فى انتظار أمل لن يتحقق .. ثلاثة عشر عاماً ، وأنت تحرم نفسك حق الحياة الطبيعية ، والزواج ، وتكوين أسرة ، وترنو إلى سراب يدعى (عايدة) .

تقلّصت عضلات وجه (شكرى) ، وهو يقول فى انفعال :

ـ كفَى يا (ماجد) ، لقد أخبرتك ألاّ تناقش هذا الأمر معى مرة أخرى .

– حسناً .. لن أفعل ، ما دام هذا يرضيك ، فأنا أعلم عدم جدوى حديثى ، ولكننى ما كنت لأثيره ؛ لولا صداقتى وحبى لك ، ولولا رغبتى فى رؤيتك تحيا حياة طبيعية ، وتنعم بحب حقيقى عاقل متزن ، يبنى ولا يهدم ، ويستقر بلا صراعات أو أوهام ، قبل أن ترحل عنك سنوات الشباب ، ولا تبقى لك – فى خريف عمرك – سوى ذكريات وَهْم أضعت حياتك من أجله .

– (ماجد) .. إننى أعلم مقدار حبك وصداقتك لى ، وأنك تهدف إلى صالحى فحسب ، ولكننى أرجوك ألاّ تقلق بشأنى كثيراً ، فأنا ناجح فى عملى وحياتى ، ومنصبى هذا دليل على ذلك .

– أنت ناجح فى عملك حقًا .. أما فى حياتك ، فلا ، أية حياة ناجحة تلك ، لرجل يسجن نفسه ، بإرادته ، خلف قضبان سجن الماضى والأوهام ؟ النجاح فى العمل يا صديقى لا يساوى شيئاً ، ما لم يقترن بنجاح فى الحياة ، وأنت حرمتَ نفسك هذا النجاح الأخير ، منذ رحلت عنك (عايدة) .

ارتسم الإصرار على وجه (شكرى) ، وهو يقول فى حزم :

– (عايدة) حقيقة قائمة فى حياتى يا (ماجد) ، أعيش معها كل لحظة من عمرى ، حتى فى أثناء نومى ، وهى ستعود إلىّ يا (ماجد) .. ستعود مهما طال الزمن .

– أما زلت تأمل فى عودتها بعد ثلاثة عشر عاماً ؟ ألم يجل بخاطرك – لحظة واحدة – أنها قد تزوجت ، أو أنجبت أطفالا ؟

– كلاً .. من المستحيل أن تفعل (عايدة) هذا .

– لماذا ؟ .. أتظن أن الجميع يحملون مثالياتك ؟

– (عايدة) تحبنى ، على الرغم من كل المشاكل التى واجهتنا ، وسيبقى حبنا أكبر وأقوى من الفراق ، وتلك السنوات التى فصلت بيننا ، ستقوّى حبنا أكثر وأكثر ، وسترى يا (ماجد) أنها ستعود .. ستعود أكثر حبًا وقوة ، وسنعوّض معاً فراق السنوات الماضية .

هال (ماجد) تلك الحِدَّة ، التى يتحدّث بها صديقه ، وذلك الإصرار المطلّ من عينيه ، فقرر ألاّ

يستمر فى مجادلته وإيلامه ، وأبدل الموضوع ، قائلا :
— حسناً .. لقد جئتك من أجل مناسبة خاصة ، فغداً عيد ميلاد ابنى (شكرى) ، وسنقيم حفلا صغيراً بهذه المناسبة ، فى منزلى ، وأنا أدعوك إليها .
— سأحضر بالطبع .. كيف لى أن أنسى موعد عيد ميلاد (شكرى) الصغير ؟
— أتراهنى أنك كنت قد نسيته لولا حضورى إليك؟
ابتسم (شكرى) وقد هدأت انفعالاته وهو يقول :
— يبدو أن فكرتك عنى سيئة للغاية .
— أبداً .. إننى أعلم أن عقلك موزَّع ما بين عملك و ..
بتَر عبارته، خشية أن تستدرجه إلى فتح الحديث من جديد ، وقال :
— ماعلينا .. المهم أننى سأنتظرك غداً .. وبالمناسبة ، لقد أرسل إلىّ (كمال) خطاباً من (النمسا) ويبدو أن أحواله ليست على ما يرام هناك ، ولكنه يتشبَّث بالبقاء ، وعدم العودة إلى (القاهرة) .
— غريب (كمال) هذا !! .. لماذا يتشبَّث بالبقاء

هناك ، متنقلا من عمل متواضع إلى آخر ، ومستغرقاً فى حياة بوهيمية لا تناسبه ؟ لقد كان ذلك يصلح لأيام الدراسة ، حينما كانت الصعلكة تروق لنا ، أما الآن فقد نضجنا ، ولم يعد عمرنا يحتمل تلك المغامرات .. لقد أرسلت إليه رسالة ، أعرض عليه فيها العودة إلى (القاهرة) ، والعمل فى وظيفة جيِّدة هنا ، فى الشركة ، ولكنه لم يرسل رداً منذ ثلاثة أشهر ، على الرغم من أننى قد أعقبت ذلك برسالتين أخريين ، على العنوان نفسه .

— ربما كان يسعى خلف وَهْم مثلك. فلقد سافر إلى (النمسا) وهو يتصوَّر أن حياته لن تستقيم إلا خارج (مصر) ، وأن (النمسا) هى محطته الأولى ، وبعدها ينطلق إلى (أمريكا) ، حيث يصبح من أصحاب الملايين ، ويبدو أنه لا يزال يركض خلف هذا الوهم .
— علينا أن نبذل أقصى جهدنا ؛ لنعيد إليه صوابه ، فهو صديقنا ، وهذا حقه علينا .
رمقه (ماجد) بنظرة ذات مغزى ، وكأنه يقول

له : إنه أجدى بهذه النصيحة ، وأدرك (شكرى) مغزى النظرة ، فأشاح بوجهه ، قائلا :

– وماذا عن (عماد) ؟ .. كيف حاله الآن ؟

– لا تحدثنى عن (عماد) ، فقد تخلّى عن صداقتنا منذ سنوات ، وكان هذا متوقّعاً ؛ نظراً لشخصيته الرافضة ، المتمرّدة على العواطف والصداقات .. لقد انعزل تماماً عن ماضيه ، منذ اقترن بتلك السيّدة الثريّة التى أصبح – بواسطة أموالها – من كبار رجال الأعمال الآن .

– كنت أظن أن صداقتنا ستعلو دائماً فوق كل شىء .

– لأنك مثالى أكثر من اللازم ، وتتصوّر أن الجميع كذلك .

أدرك (شكرى) أنه يلمّح مرة أخرى إلى موضوع (عايدة) ، فحوّل دفة الحديث من جديد ، إلا أن (ماجد) أدرك غرضه ، فاستوقفه ، قائلا :

– لا داعِىَ لاختلاق الأحاديث ، فلن أعود إلى الحديث عن (عايدة) مرة أخرى ، ثم إننى سأنصرف

على الفور ، فلدىّ موعد هامّ ، المهم ألاّ تتخلّف عن الحضور غداً ، فلن نبدأ الحفل قبل حضورك .

ودّعه (شكرى) حتى باب حجرة مكتبه ، وهو يقول :

– اطمئن ، سأحضر فى موعدى ، ولن أتخلف أبداً .

* * *

انفرد (شكرى) . فى تلك الليلة أيضاً ، بأوراق وصور ذكرياته مع (عايدة) ، كما اعتاد أن يفعل ، كلما وجد لديه فراغاً . وراح يستعيد ذكريات ماضيه معها ، على الرغم من أن هذا الماضى لا يفارقه قط ، بعد أن صار جزءاً من حياته ، ولكنه راح يراجع نفسه للمرة الأولى فى تلك الليلة ، متسائلا :

– تُرى أيكون ما قاله (ماجد) صحيحاً ؟.. أيمكن أن تكون (عايدة) قد نسيت وعدها لى ، ونسيتنى ؟ .
إننى لم أتلقّ منها أية خطابات ، منذ خطابها الأخير ... أما زالت تصرّ على تحقيق هدفها ؟.. ألم تنجح فى مقاومة نفسها حتى الآن ؟

ابتسم فى مرارة ساخرة ، وهو يستطرد :

- يبدو أننى لا أخدع سوى نفسى حقاً .. أيمكن أن يكون نضال (عايدة) مع نفسها قد استغرق ثلاثة عشر عاماً كاملة ؟ .. أيحتمل أنها ما زالت تحفظ حبى طوال تلك السنين ، أم أن هذا خيال ، لا يتأتى حتى فى أكثر الروايات العاطفية رومانسية ؟!

وصمت لحظات ، ثم عاد يهمس لنفسه :

- لقد صدق (ماجد) فى حديثه .. الجميع صدقوا إلاّ أنا .. لقد انتهت قصتى مع (عايدة) ، ولم يعد ذلك الحب الكبير سوى جزء من الماضى ، لاينبغى أن يسيطر على حاضرى ومستقبلى ، ومن الغباء أن أضيع عمرى أسيراً لوهم صنعته سطور حمقاء فى خطاب قديم ، وأكملته مثالية سخيفة فى أعماق .. لو أن لى مكاناً فى قلب (عايدة) ، بعد كل هذه الأعوام ، لتذكرتنى ولو بخطاب صغير ، ولكننى وحدى أحيا هذا الوهم ، الذى زرعته فى نفسى .

تجمّعت حبات العرق على جبينه ، معبّرة عما يجيش به صدره من أحاسيس متناقضة ، وأخذ يردد :

- لابد من طرح هذا الوهم عن نفسى ، يجب أن أستمع مرة واحدة إلى صوت العقل ، وأقنع نفسى أن (عايدة) قد خرجت من حياتى إلى الأبد ، وأن أبدأ من جديد ، قبل فوات الأوان .. والخطوة الأولى للانتصار على نفسى ، هى أن أحرق هذه الأوراق والصور ، التى تربطنى بالماضى .. وأتخلّص منها ..

تكثّف العرق على جبينه ، وهو يلتقط الأوراق والصور ، ليمزّقها ويحرقها ، وارتعدت يده فى قوة ، وهو يتطلّع إلى الأوراق والصور طويلا ، ثم ألقاها من يده ، وأجهش بالبكاء ، وهو يردّد :

- لا أستطيع .. لا أستطيع أن أمزّق أجمل أيام عمرى ، والشىء الوحيد الذى يربطنى بالمستقبل ..

وأدرك أنه عاجز ..

عاجز عن طرد أوهام الحب ..

* * *

١١ ـ مشاعر يائسة ..

فرغ (شكرى) من إيداع مبلغ من المـــال ، فى حساب الشركة فى البنك ، وتطلع إلى ساعته فى قلق . وقد أدرك أنه قد تأخر عن موعد أحد كبار العُـملاء . الذى سيصل إلى مكتبه فى الشركة بعد ربع ساعة فقط . وأسرع الخطا مغادراً البنك ، ولكنه اصطدم عند الباب الخـارجى بفتـاة وتسبب فى سـقوط بعض الأوراق والملفات من يدها ، فشعر بحرج بالغ ، وانحنى يعاونها على جمعها ، وهو يغمغم معتذراً :

ـ معذرة .. لقد كنت متعجِّلا ، ولم أقصد أن ..

قاطعته الفتاة فى رقة ، محاولة تخفيف حرَجه :

ـ لا عليك .. إنها أمور شائعة الحدوث .

وحانت منها التفاتة إلى وجهه ، فهتفت فى حرارة :

ـ غير معقول !! .. (شكرى) ؟!

رفع عينيه إليها ، وارتسمت على شفتيه ابتسامـة كبيرة ، وهو يهتف بدوره :

ـ (نادية حسين) ؟! .. يا لها من مصادفة !!

ناولها الأوراق ، فضمتها إلى صدرها ، وهى تقول :

ـ ما الذى جاء بك إلى هنا ؟

ـ إننى عميل قديم للبنك .. وأنت ، ماذا تفعلين هنـــا ؟

ـ إننى أعمل هنا ، ومن العجيب أنك عميل قديم ، ولم نلتق من قبل .

ـ إن موظفى الشركة يقومون بالإيداع عادةً ، والحساب هنا باسم الشركة ، وليس باسمى .

ـ أننا لم نلتق منذ زمن طويل .

ـ نعم .. زمن طويل بالفعل .

ـ منذ آخر حفل للكلية ، حينما شدوْت بأغنيتك الرائعة (دعوة للحب) .

ـ أما زلت تذكرين ؟

ـ إنها أيام لا تنسى .. ما رأيك فى أن أدعوك إلى فنجان من القهوة فى مكتبى ؟

ـ كنت أتمنى قبول دعوتك ، ولكننى مرتبط بموعد هام .

— حسناً .. سأقبل اعتذارك هذه المرة ، ولكن يجب أن نلتقى مرة أخرى .

— بالتأكيد .

همّ بالانصراف ، ولكنه وجد نفسه يتوقف ، ويسألها فى اهتمام :

— متى تنتهين من عملك هنا ؟

— فى الثالثة عصراً .

— أتمانعين فى قبول دعوتى بعد انتهاء عملك ، فى أى مكان يروق لك ؟

— مطلقاً .. لست مرتبطة بأية مواعيد بعد العمل .

— حسناً .. سأنتظرك أمام البنك فى سيارتى ، فى تمام الثالثة .

ابتسمت ، وهى تقول :

— اتفقنا .

عجز (شكرى)، طوال طريق عودته إلى الشركة، عن إيجاد المبرّر الحقيقى لسعيه إلى هذا اللقاء، إلا أنه ظل يترقب موعده معها فى اهتمام ولهفة ، لم يجد مبرراً لها أيضاً ..

والتقيا ..

وجلسا معاً فى (كافيتيريا) اختارتها هى ، وداعبها قائلا :

— لو فررت من الدعوة ، لاتهمتك بالبخل .

— ما كنت لأفرّ من دعوة زميل قديم ، أكنُّ له كل ودّ واحترام ، فضلا عن كونه نجم حفلات الجامعة السابق .

ابتسم (شكرى) ، وتطلّع إلى مياه النيل الممتدة أمامه ، قائلا :

— إنها أيام ولّت .

— ولكنك لم تتغير كثيراً ، ما زلت فى نظرى ذلك الطالب الجامعى ، الذى تشعّ كلماته رقة وعذوبة ، وهو يلقيها مع قصائده ، أو ينشدها فى أغنياته .

— أنت تبالغين .

واختلس النظر إلى أصابعها ، وهو يستطرد فى تردُّد :

— أتسمحين لى بإلقاء سؤال شخصىّ ؟

- تفضّل .

- إن أصابعك لا تحمل أية خواتم .. ألم تتزوجي حتى الآن ؟

أطرقت برأسها ، وارتسم على وجهها تعبير حزين وهى تجيب :

- لقد كنت مخطوبة إلى طيّار حربي ، وكان الكل يحسدنا على سعادتنا وحبنا ، ولكن ..

اختنقت الكلمات فى حلقها ، وبدا التأثر واضحاً فى عينيها ، فغمغم فى تردُّد :

- ولكن ماذا ؟

- سقطت طائرته فى أثناء إحدى التدريبات ، ولقى مصرعه قبل زفافنا بعشرة أيام .

- يؤسفنى أن ذكّرتك بذلك .

اغتصبت ابتسامة باهتة ، وهى تقول :

- لا داعى للأسف .. إنها ترتيبات القدَر ، التى لا نملك حيالها شيئاً .

- أمن أجل هذا ترفضين الزواج ؟

- لقد ظللت أرفضه لسنوات طويلة ، بعد صدمتى بمصرعه ، وكان الزواج من آخر يبدو لى أشبه بخيانة لا تُغتفر ، ولكن إيمانى بالله جعلنى أتجاوز الأزمة ، وأسهمت الأيام والأعوام فى تخفيف الجرح ، وتقبُّل الواقع .

- لماذا لم تتزوّجى بعد تجاوزك الأزمة إذن ؟

حاولت أن تزيد من اتساع ابتسامتها ، وهى تقول :

- لم ألتق حتى الآن بمن يعوّضنى دماثة خلق خطيبي الراحل ، أو رجولته وصفاته .

شرد (شكرى) قليلا ، وهو يقول لنفسه فى أعماقه :

- ها هى ذى إنسانة تفوقنى قوة وإرادة ، تمكنت من مواجهة محنتها ، وتجاوزها ، والتغلب عليها ، دون أن تستسلم لوهم الخيانة ، أو تسمح له بمحاصرتها .

أخرجه صوتها الرقيق من شروده ، وهى تسأله :

- أتسمح لى أن أطرح عليك السؤال ذاته ؟

- بالطبع .

– لماذا لا تحمل أصابعك (دبلة الزواج أيضاً ،
مع أننى كنت أتصوَّر أنها ستكون موجودة حتماً ؟
أجابها بابتسامة تحمل دهشته :
– ولماذا حتماً ؟
– كلنا كنا نعرف قصتك مع (عايدة) ، ونحسدكما على حبكما .
عاد يتطلع إلى مياه النيل . محاولاً إخفاء مسحة الحزن ، التى ارتسمت على وجهه ، وهو يقول :
– لقد رحلت (عايدة) .
– لست أفهم ! !.. ما الذى تعنيه بكونها رحلت؟
– سافرت خارج البلاد ، منذ ثلاثة عشر عاماً ، ولم تعد حتى الآن .
– مازلت أعجز عن الفهم ! !.. لماذا رحلت ؟.. وما مصير حبكما ؟
– أصبح مجرد ذكرى .. (نادية) .. ألا يمكنك تغيير الموضوع ؟
– بالطبع ، مادام يسبب لك كل هذا الألم ،

وإن كنت لم أفهم بعد كيف انتهى حبكما الكبير ، بكل هذه البساطة ؟
– إنها ترتيبات القدَر ، التى لا نملك حيالها شيئاً ، كما قلت منذ لحظات .
انتقل بهما الحديث إلى موضوعات شتى ، وقد شعرا بتآلف عجيب يجمعهما ، حتى تطلّعت إلى ساعتها ، وقد اعتراها قلق مفاجىء ، وهى تقول :
– لقد تأخرت كثيراً ، ويجب أن أذهب الآن .
تطلّع إلى ساعته بدوره ، قائلا :
– يا إلهى ! !.. إننى لم أشعر حقّاً بمرور الوقت .. سأدفع الحساب ، وأوصلك إلى منزلك .
لم يتبادلا الكثير من الحديث ، طوال الطريق إلى منزلها ، ولكنه حينما اقترب من المنزل ، سألها فى لهجة أشبه بالرجاء :
– أيمكننا أن نلتقى مرة أخرى يا (نادية) ؟
أجابته فى مرح :

– يمكنك أن تجدنى فى البنك ، فى أوقات العمل بالطبع .

– كلاً يا (نادية) .. أريدنا أن نلتقى مرة أخرى خارج البنك .

– لمــاذا ؟

– لأنه هناك الكثير مما لم نتحدث عنه بعد .

صمتت قليلا ، ثم أجابته فى هدوء :

– فليكن .. الأسبوع القادم ، فى نفس الموعد .

– أشكرك يا (نادية) .. أشكرك جداً .

ومن العجيب أن قلبه قد خفق فى شدة ، وهو ينطق هذه العبارة ..

* * *

توالت لقاءات (نادية) و (شكرى) ، وشعر كل منهما بما يجذبه نحو الآخر ، وبالنسبة لـ (نادية) ، كان إعجابها بـ (شكرى) يعود إلى أيام الدراسة ، وعلى الرغم من أنها لم تسمح لنفسها أبداً بالتعبير عن هذا الإعجاب ، إلا أنها كانت شديدة الحرص على

حضور كل حفلاته ، وسماع أغنياته وقصائده ، ولم يكن هذا وحده ما يجذبها إليه ، وإنما كانت تميل إلى شخصيته كل الميل ، وما كانت موافقتها على خطبة خطيبها الراحل ؛ إلا لأنه كان يحمل الكثير من سمات (شكرى) ، التى عجزت دوماً عن التصريح له بإعجابها به .

ولقد اكتفت (نادية) بصداقة (شكرى) ، وبعد أن كشفت بحاستها الأنثوية ، أن (عايدة) قد أصبحت كل حياته وعالمه ، وأنها تبغى الاستئثار به وحدها ، ودون أن يرتبط بسواها ، حتى ولو بصداقة بريئة ، آثرت (نادية) الابتعاد ، وهى تحتفظ له فى قلبها بكل الاحترام والإعجاب ..

وها هى ذى الأيام ترسله إليها ، وتقرب بينهما ، ليتحول الإعجاب والصداقة إلى عاطفة قوية ، بدأت تعلن عن نفسها فى وضوح ، فى كل تصرفاتها وأفعالها ..

وبالنسبة لـ (شكرى) ، كانت (نادية) من أكثر من صادقهم فهماً لأفكاره ومشاعره ، وكان يشعر

بذلك وهما بعد طالبان فى الكلية إلى أن غرق فى حب (عايدة) ، وابتعدت عنه (نادية) ، مخلّفةً فراغاً لم يشعر به آنذاك ، حتى التقى بها مجدّداً . وعاد يشعر أنها أكثر الجميع فهماً له ..

وهو أيضاً صار يشعر نحوها بعاطفة غامضة ، هادئة ، مريحة ، ولكنها لا تشبه أبداً عاطفته القـوية الجامحة تجاه (عايدة) ، التى مازالت تملك فؤاده حتى الآن ..

وحاولت (نادية) أن تشير إليه إلى عواطفها نحوه وهى تتمنى أن تجـد لهـا صدًى فى نفسه ، إلا أن (شكرى) بدا لها صلباً ، جامداً . حتى أيقنت بغريزتها الأنثوية أن قلبه لا يحمل سوى (عايدة) ..

(عايدة) فقط ..



١٢ ـ محاولة للنسيان ..

تطلّع (شكرى) إلى ساعته فى قلق ، وهو ينقل بصره إلى باب (الكازينو) ، منتظراً حضورها ، ثم لم تلبث أساريره أن تهللت ، حينما رآها قادمة ، ونهض لاستقبالها ، قائلا فى عتاب :

ـ لماذا تأخرت ؟

أجابته فى وجوم ، وهى تجلس :

ـ لم أكن أنوى الحضور .

هتف فى دهشة :

ـ لماذا ؟

لاذت بالصمت ، فعاد يسألها فى إلحاح :

ـ لماذا يا (نادية) ؟ .. ماذا بك ؟

بدت له ، وكأنها تحاول استجماع شجاعتها ، قبل أن تسأله بغتة :

ـ هل يمكنك أن تخبرنى : ما مصير هذه اللقاءات ؟

ارتبك لسؤالها ، وحاول أن يجد إجابة مناسبة ، على حين استطردت هى :

– (شكرى) .. ما الذى تريده منى بالضبط ؟

– (نادية) .. إننى أشعر فى اللحظات التى نقضيها معاً ، براحة لا أجدها مع أى إنسان آخر .

بدت لها إجابته مبهمة ، وغير مقنعة ، فعادت تسأله فى إلحاح :

– أهذه كل إجابتك ؟

شعر بما يعتمل فى نفسها ، فقال محاولا تهدئة مشاعرها :

– كل ما يمكننى قوله هو : أننى أحتاج إليك .

ارتسم الإحباط على وجهها ، وهى تقول فى يأس :

– كوسيلة للنسيان .. أليس كذلك ؟

هتف فى دهشة :

– أى نسيان ؟

– نسيان الماضى .. نسيان (عايدة) ، التى مازالت تحيا فى أعماقك .

– ليس صحيحاً .

هتفت فى انفعال :

– بل صحيح يا (شكرى) .. إنها دائماً بيننا .. شبحها ماثل فى نظراتك الحزينة الشاردة .. فى محاولاتك الجارحة ، لتصنع منى نسخة منها .. هل تذكر أنك قد طلبت منى تصفيف شعرى ، على نفس النحـو ، الذى كانت تصفف به شعرها ؟ .. وأن أرتدى ثوباً أزرق اللون ، كلما التقينا .. إننى لم أفهم ذلك فى البداية أو لم أنتبه إليه ، ولكننى تنبهت إلى الأمر ، وأنا أتأمل نفسى فى المرآة ، قبل لقائنا الأخير .. لقد كان الأزرق هو لونها المفضَّل ، ولونك ، الذى أردت أن تفرضه على شخصيتى ، لتمحُوها ، وتصنع منها نسخة من حبيبتك ، تشبع حنينك إليها .

– خطأ يا (نادية) .. ربما كان هذا صحيحاً فى البداية ، ولكنه لم يعد كذلك .. إننى الآن أسعى لنسيانها ، وأريد منك أن تساعدنى على ذلك .

– ليتنى أستطيع ، ولكننى أدرك جيداً أننى لن أنجح فى ذلك ، فما أراه فى عينيك يجعلنى أوقن من أنك لم تنس (عايدة) ، وأنها ستظل دائماً الأقوى ، مهما

مرت السنوات ، ولن يمكننى ، على الرغم من حبى لك ، أن أنتصر عليها ، أو أنتزعها من قلبك أبداً .

تأملتها عيناه فى جمود لحظات ، ثم قال فى حزم :

– (نادية) .. هل تتزوجيننى ؟

اهتز كيانها كله لسؤاله ، وظلت تحدّق فى وجهه ببلادة ، وقد عجزت عن النطق ، على حين أكمل هو ، وكأنه لا ينتظر جوابها ، وإن تحوَّلت لهجته إلى الرجاء :

– لو أنك تحبيننى حقًّا ، فساعدينى على التحرُّر من أسر (عايدة) .

– أتظن أن زواجى منك سيحرِّرك من أسرها ؟

– سيضعنى أمام التزام جديد على الأقل ، يحول بينى وبين الماضى .

– وماذا عنى أنا ؟ .. أترضى أن أحيا معك كمجرد التزام ؟ .. وأن يكون زواجك منى مجرد محاولة للهروب من الماضى ؟ .. ألم تفكر فى مشاعرى ، كإنسانة لها الحق فى أن تُحِبَّ وأن تُحَبَّ ، وأن

يختارها زوجها لذاتها ، وليس لنسيان أخرى ؟

– إن بيننا أشياء كثيرة مشتركة يا (نادية) ، وسننجح معاً ، مادام التفاهم قائماً بيننا ، وليست كل الزيجات الناجحة تبدأ بالحب ، المهم أن تنتهى به .

ثم استطرد فى سرعة ، وكأنما أراد أن يقطع عليها حبل تردُّدها :

– ثم إن عرضى هذا ليس وليد اللحظة .

وأخرج من جيبه علبة صغيرة ، من (القطيفة) الحمراء ، فتحها أمامها ، والتقط إحدى (دبلتين) ذهبيتين ، تستقران فى داخلها ، وهو يردف :

– هل ترين ؟ .. لقد فكرت فى الأمر طويلا ، حتى بعد أن اشتريت (دبلتى) الزواج ، ونقشت على إحداهما اسمك ، ولكننى لن أنتظر أكثر من ذلك .

تطلعت (نادية) إلى (الدبلة) الذهبية ، ثم نقلت بصرها إليه ، قائلة :

– قد لا تدرك شعور الفتاة الغارقة فى الحب ، حينما يقدِّم لها من أحبت (دبلة) الخطبة ، إنها تكون

– عادةً – أسعد مخلوقة فى الكون ، ولكننى لا أستشعر
أثر تلك السعادة فى نفسى ؛ لأننى أعلم أنك تقدم (الدبلة)
الذهبية لإنسانة لم يخترها قلبك .. قد تكون بيننا أشياء
كثيرة مشتركة ، كما تقول ، ولكننا نفتقر إلى أهم
ما يربط حياة أى زوجين سعيدين .. إلى الحب ..
ولو أن لدىّ بعض الأمل ، فى أن يدخل ذلك الحب
زواجنا يوماً .. لكنت الآن أسعد فتاة فى العالم ،
ولوافقت على الزواج منك على الفور ، ولكننى أشفق على
نفسى من أن أحيا عمرى فى وهم ، دفنت أنت فيه عمرك ،
انتظاراً لحب لن يأتى ، كما لن تعود إليك (عايدة) .

حاول أن يعترض ، ولكنها قاطعته مستطردة :

– إنها الحقيقة يا (شكرى) .. إنك تعلم فى
أعماقك أن (عايدة) لن تعود ، ولكنك تصرّ على
إيهام نفسك بالعكس .. أتدرى لماذا ؟ .. لأنك تريد
أن تخلق لنفسك مايبرر تمسكك بهذا الحب ، وإصرارك
عليه .. إن (عايدة) – حينما رحلت من حياتك – لم
ترحل وحدها ، وإنما أخذت معها عواطفك ومشاعرك

واستحوذت عليها ، حتى بعد أن هجرتك ، ولم يعد
لديك ما تقدّمه لغيرها .

– أتغلقين أمامى كل الأبواب ؟

– بل أنت الذى يفعل ... لو أنك تسعى حقًّا
للتحرر من الأسر ، فعليك أن تفعل ذلك وحدك ،
فلا أنا ، ولا غيرى ، يمكننا أن ننزع من رأسك وهماً
تتشبث به .

– ألن يتغير رأيك فى الزواج منى أبداً ؟

– ربما .. إذا ما نجحت يوماً فى نسيان (عايدة) ،
والتخلص من ذلك الوهم ، واستطعت أن تصبح قويًّا
صادقاً ، عندئذ سنلتقى من جديد ، وسنعيد مناقشة
الأمر ، أما الآن ، فلن يمكننى قبول (دبلة) الزواج
يا (شكرى) .. لن يمكننى أبداً ..

* * *

تهالك (شكرى) فوق مقعده ، حينما عاد إلى منزله
فى تلك الليلة ، وأخذ يسترجع كل حرف نطقت به
(نادية) ، وهو يعلم أنها لم تنطق سوى صدق ..

إن (عايدة) ما زالت الأقوى ..

مازال حبها يتردد مع أنفاسه ، وينبض فى عروقه ..

لقد كانت (نادية) دوماً خير من يفهمه ، ويقرأ ما يختفى فى أعماقه ، ولقد رأت تلك الحقيقة فى وضوح وأشفقت على نفسها من مشاركته وهمه ..

ومرة أخرى أخرج الأوراق والصور ، وراح يتأملها ، ويسترجع ذكريات ماضيه ..

مرة أخرى حاول أن يمزقها أو يحرقها ، ولكنه عجز ..

استسلم لضعفه ، وأعاد الأوراق والصور إلى مكانها ، ثم نهض إلى النافذة ، وراح يتطلع إلى الأفق البعيد ، وكأنه يلقى نفس السؤال الذى سمعته (عايدة) ، وهو يقرأ أولى قصائده إليها :

أما كفتك حيرتى وآلامى ؟

أما فرغت من عذاب قلبى ؟

أم أنك لعذابى تعشقين ؟

* * *

١٣ ـ لحظة المواجهة ..

تصاعد رنين جرس باب شقة (شكرى) ، على نحو مزعج ، فأسرع إليه ، ولم يكد يفتحه حتى وجد أمامه (ماجد) يبتسم ، هاتفاً :

ـ خمّن .. من جاء معى ؟

هتف (شكرى) فى سعادة ، وهو يلتفت إلى الشخص الذى برز من خلف (ماجد) :

ـ (كمال) !؟ .. ما أجملها من مفاجأة ! !

وعانق صديقه فى لهفة واشتياق ، وجذبه إلى الداخل ، وهو يهتف :

ـ متى عدت يا صديقى العزيز ؟

أجاب (ماجد) بدلاً منه :

ـ تصوَّر أن هذا النذل هنا منذ أسبوع كامل ، ولم يفكر فى رؤيتنا سوى اليوم .

هتف (شكرى) مستنكراً :

ـ وكيف أمكنك أن تنتظر كل هذا الوقت ، دون أن تلتقى بأعزّ صديقين ؟

بدا له (كمال) شاحباً ، واجماً ، على نحو لم يعهده فيه من قبل ، فسأله فى قلق :

— (كمال) .. ماذا بك ؟

— أيمكننا أن نذهب إلى مكان آخر ، بعيداً عن الجدران المغلقة ؟ .. إننى أشعر بالاختناق .

تبادل (ماجد) و (شكرى) نظرات قلقة . وغمغم (شكرى) :

— لا بأس .. سأبدل ثيابى ونخرج معاً .

لم تمض إلا نصف الساعة حتى كان الثلاثة يجلسون فى حديقة (كازينو) صغير ، وعاتب (شكرى) (كمال) قائلا :

— لماذا انقطعت رسائلك عنى طوال هذه المدة ؟

أشاح (كمال) بوجهه ، قائلا :

— كنت أشعر بالخجل منك .

تطلّع إليه (شكرى) فى حيرة ، وهو يغمغم :

— منى أنا ؟! .. لماذا ؟

فوجىء به يسأله :

— (شكرى) .. أما زلت تحب (عايدة) ، كما علمت من (ماجد) ؟

أجابه (شكرى) فى دهشة :

— ما صلة هذا السؤال بسؤالى لك ؟

— أجبنى عن سؤالى أولاً .

أطرق (شكرى) برأسه ، وكأنما يحاول إخفاء ضعفه ، وهو يغمغم :

— لقد حاولت أن أنساها يا (كمال) ، ولكنها ما تزال تحيا فى قلبى ..

صاح (كمال) فجأة فى انفعال :

— إنها لا تستحق منك كل هذا الحب والوفاء .

تطلّع إليه صديقاه فى دهشة، وقد بدا لهما انفعاله عجيباً ، على حين تهالك هو فوق مقعده ، مستطرداً فى خفوت :

— إنكما تسألاننى لِمَ لمْ ألتق بكما ، على الرغم من حضورى إلى (القاهرة) منذ أسبوع ، ولماذا توقفت عن مراسلتكما ، على الرغم من أنكما أعزّ صديقين لى

فى الوجود ؟ .. أتريدان معرفة السبب ؟ .. حسناً .. إننى لم أفعل ؛ لأننى لم أكن أميناً مخلصاً لصداقتكما ، وخاصةً مع (شكرى) .

هتف (شكرى) ، وقد تضاعفت دهشته :

– ماذا تعنى بذلك يا (كمال) ؟ ما الذى تقصده بكلماتك الغامضة ؟

ارتسم الألم والندم فى عينى (كمال) ، وهو يقول :

– لقد التقيت بـ (عايدة) فى (النمسا) يا (شكرى).

حدّق (شكرى) فى وجهه بذهول ، وكذلك فعل (ماجد) ، وران الصمت لحظة على أصدقاء العمر قطعها (شكرى) ، وهو يغمغم فى شحوب :

– متى ؟ .. ولماذا لم تشر إلى ذلك فى خطاباتك ؟

كمـــال :

– لقد التقيت بها فى العام الماضى ، وهى التى طلبت منى ألا أخبرك بمكانها .. كانت تريد منك أن تظل تبحث عنها طيلة عمرك ، بعد أن نبذتك من حياتها .

شـكرى :

– هل أخبرتك بتلك الرسالة ، التى أرسلتها إلىّ ، قبيل سفرها ؟

كمـــال :

– لقد سافرت (عايدة) ، وهى ناقمة عليك ؛ بسبب خلافكما الأخير .. لقد بدأ حبكما متعادلا عنيفاً ، وبقى كذلك فى قلبك ، أما بالنسبة لها ، فقد تحوّل إلى كراهية شاذة مريضة ، تراجع أمامها الحب ، وانزوى وتلاشى ، حتى ضاع تماماً .. وهذا ليس عجيباً بالنسبة لها ، فهى شخصية مريضة نفسيًّا ، ولقد بدا لها خلافكما الأخير مجرد مقدّمة ، وبداية لهجرك لها ، كما فعل أبوها بأمها ، ولم يكن ذلك الخطاب ، الذى أرسلته إليك ، سوى وسيلة لتحقيق ذلك الانتقام .. لقد استغلّت فيه ما عرفته عنك ، خلال علاقتكما ، من عواطفك المتدفقة ، وإخلاصك ، وإنكارك لذاتك ، وأيقظت بكلماتها الرقيقة الزائفة ، وعبارات التضحية المنمّقة نخوتك ، وقيّدتك بوعود وآمال وهمية ، جعلتك تقضى

أجمل سنوات عمرك فى انتظار عودتها ، وهى تعلم أنك ستفعل ، وستظل أسيراً لها ، حتى تنتقم منك انتقاماً كاملا .. إنها شخصية عجيبة مريضة .. شاذة وأنانية للغاية ، ولقد حققت انتقامها بأفضل مما كانت تتصوّر ، فكل ما كانت تطمح إليه هو أن تقضى ثلاث أو أربع سنوات من عمرك فى انتظارها ، ولم يدر بخلدها أبداً أنك ستقضى ثلاثة عشر عاماً ، أسيراً لذلك الوهم .

– هل أخبرتك هى بذلك ؟

– لم تكن هناك حاجة إلى ذلك ، لقد عرفت ، وفهمت كل شىء ، من خلال تعاملى معها .. أتعلم أن (عايدة) قد تزوّجت ، بعد شهر واحد من سفرها إلى (ألمانيا) ، من رجل أعمال مصرى هناك ؟

– تزوّجت ؟!

– نعم .. ولكن زيجتها باءت بالفشل ؛ بسبب تلك التقلبات الشاذة فى شخصيتها ، التى كادت تدمر زوجها ، لولا أن سارع إلى التخلص منها ، ولقد جاءت إلى (النمسا) منذ عامين ، واستقرّت فى إحدى

الوظائف هناك ، حيث التقيت بها مصادفة ، وأنا أمرّ بأسوإ أحوالى النفسية والمادية .. وعلى الرغم من معرفتى الكاملة لشخصيتها ، وصداقتى العميقة لك ، فقد وجدت نفسى أنزلق فى حب تلك المخلوقة الشاذة ، التى كانت آخر من أتصوّر الوقوع فى حبه .

هزّت المفاجأة (شكرى) من الأعماق ، وهو يتطلع إلى (كمال) فى ذهول ، على حين لم يتوقف هذا الأخير وكأنما يخشى أن يعجز عن الاستطراد ، وقال :

– نعم .. أحببتها .. ربما هى ظروفى القاسية ، التى جعلتنى أحتاج إلى لمسة دفء وحنان ، ولقد وجدت لديها تلك اللمسة ، واجتذبنى ذلك الجانب المخادع من شخصيتها ، ونبع الأحزان ، الذى أغرقك من قبل ، فى عينيها ، وانزلقت إلى نفس المستنقع ، الذى انزلقت أنت إليه من قبل ، إلى أن بدأ ذلك التحوّل يطرأ عليها ، وأخذت تتلذذ بتعذيبى بلا مبرّر ، استكمالاً لهوايتها الشريرة فى تعذيب من يحبونها .. لقد ضخّمت أمها فى أعماقها عقدة اختفاء أبيها ، بأحاديث

لم تنقطع عن خيانة الرجال ، وغدرهم ، وجحودهم وقسوتهم ، حتى انقلبت تلك العقدة ، فى نفس(عايدة) إلى رغبة دفينة فى تحطيم كل من تحبهم ويحبونها .. تمنحهم حنانها وعواطفها أولا ، ثم تهجرهم قبل أن يهجروها ، وهذا ما فعلته معى .. لم تكد تتأكد من تعلقى بها ، حتى هجرتنى ، وعادت إلى (ألمانيا) ؛ لتتزوَّج من طبيب مصرى هناك ، ، وتمارس معه اللعبة نفسها .. إنها مريضة نفسية رهيبة ، ولكنها ترفض العلاج ، وتسعد بعقدتها وشذوذها النفسى ؛ لأنها تتصوَّر أن كل الرجال يستحقون ذلك .

صمت لحظة ، ثم استطرد فى مرارة :

— (شكرى) .. أعلم أننى قد أخطأت فى حقك. وحق صداقتنا ، ولك ألاّ تغفر لى ذنبى ، فلو أن (عايدة) مريضة، لها ما يبرِّر أخطاءها ، فليس لى أنا ما يبرر أخطائى ، ولكن كل ما يمكننى قوله هو أننا بشر ، تمرّ بنا لحظات ضعف ، نفقد خلالها عقولنا ، ونستسلم لأهوائنا ، وأنانيتنا ، ولقد عشت مع (عايدة)

كل ضعفى ، ولكننى عدت (كمال) الذى تعرفه ، ولم أعد أملك سوى الندم ، على لحظة ضعف أذنبت خلالها فى حقك .

نهض (شكرى) فى ذهول ، وهو لا يزال يعيش حول الموقف ، فأمسك (ماجد) ذراعه ، مغمغماً :

— إلى أين ؟

— أريد أن أسير وحدى .

— سنأتى معاً .

هتف فى حدة :

— قلت وحدى .

قال (كمال) فى خفوت :

— دعه يذهب وحده .. قد يفيده ذلك .

ثم تحوَّل إلى (شكرى) ، مستطرداً :

— ولكن قبل أن تذهب ، أريدك أن تعلم شيئاً واحداً .. سأعود غداً إلى (النمسا) ، فقد تزوَّجت فتاة نمساوية، وأيًّا كان موقفك منى ، فستبقى صداقتنا فى

قلبى إلى الأبد ، وسيبقى معها إحساسى بالندم ، لو أنك لم تصفح عن خطئى فى حقك .

لم ينبس (شكرى) بحرف واحد ، بل تابع سيره والموقف بأكمله يعصف به ، ومشاعره كلها تتصارع فى عنف وقسوة ..

تتصارع بين ماض وحاضر ..

ومستقبل ..

* * *



كان (كمال) يتأهب للسفر فى المطار ، حينما سمع صوتاً يهتف به :

– (كمال) .. انتظر .

التفت (كمال) لتلتقى عيناه بعينى (شكرى) ، فامتزج الفرح فى عينيه بالدموع ، وهو يغمغم فى تأثر :

– كنت أعلم أنك ستأتى لوداعى .. قل لى إنك قد صفحت ، وأن صداقتنا باقية .

احتضنه (شكرى) فى حرارة ومودة ،وهو يقول :

– أعدك بنسيان ما حدث ، من أجل صداقة العمر .

– هناك ما أريدك أن تعدنى بنسيانه أيضاً .

– ما هو ؟

– (عايدة) .

ابتسم (شكرى) ، وهو يقول فى أسى :

– وكيف أنسى سنوات العمر التى ضاعت هباءً ؟

– ما زالت هناك سنوات لم تضع بعد .

ارتفع فى تلك اللحظة نداء مكتب الجوازات ،

ينبّه المسافرين إلى ضرورة التوجه إلى الطائرة المسافرة إلى (النمسا) ، فقال (شكرى) :

– هيّا .. اذهب لتلحق بطائرتك .

اتجه (كمال) نحو منطقة المسافرين ، وهو يهتف :

– عدنى يا (شكرى) .. عدنى بنسيانها .

أجابه (شكرى) فى خفوت :

– أعدك يا (كمال) .. أعدك يا صديق العمر .

سأله (ماجد) ، الذى يقف إلى جواره :

– أيمكنك أن تفى بوعدك حقًّا ؟

– سأحاول .. لقد آن الأوان لأواجه نفسى .

وفى أثناء مغادرتهما المطار ، سأله (ماجد) :

– هل تنتظرك سيارتك ، أم أصحبك فى سيارتى ؟

– سأسير إلى المنزل ، كما فعلت أمس .

– أأنت واثق من أنك لا تريدنى معك ؟

ابتسم (شكرى) ، وهو يقول :

– اطمئن .. سأكون بخير – بإذن الله – وسأتصل بك هاتفيًّا ، عند وصولى إلى المنزل .

– كما تحب .. سأنتظر مكالمتك .

وانطلق (ماجد) بسيارته ، واتجه (شكرى) ، على قدميه إلى منزله ..

* * *

وصل (شكرى) إلى نهاية ذكرياته ، وهو لايزال جالساً فى حجرته ، ذات الجدران الضيقة ، الباردة ، ويده تقلّب الأوراق والصور ، التى بعثت فى نفسه كل هذه الذكريات ..

ما أقسى أن يكتشف الإنسان أن ما عاش من أجله عمره كله ، لم يكن سوى وهم ..

لم يدر من المسئول عن ضياع عمره فى وهم ..

أهو (عماد) ، الذى دفعه إلى الانغماس فى حبّ (عايدة) ، وهو يعلم طبيعتها الشريرة ؟ ..

أهى (عايدة) ، التى خدعته بعواطف دافئة ، عوّضته عن كل ما حُرِمَ منه ، ثم ركلته بلا رحمة ؟ ..

أم هى الظروف ، التى أحاطت بـ (عايدة) ، وأيقظت فى نفسها تلك العقدة الدفينة ؟ ..

أم نفسه التى استعذبت الأمل والحرمان ، وخدعته باسم الحب ، حتى يحيا كل هذه السنوات فى وهم ؟ ..

أم كل هذه العوامل مجتمعة ؟ ..

ولكن لم يعد منَ المهم مَنِ المسئول عن ضياع السنوات ..

المهم ألاّ تضيع السنوات القادمة ..

وفى حزم ، أمسك بالأوراق والصور ، ومزَّقها ، ثم أشعل فيها النيران ..

لقد انتصر أخيراً على ضعفه ، وتخلّص من أوهام ذكرياته .

وفى ارتياح ، راح يتطلّع إلى الأوراق المحترقة ، حتى صارت رماداً ، وتبخّر مع دخانها كل ما كان يربطه بـ (عايدة) ..

وبابتسامة ملؤها التفاؤل والظفر ، راح يتطلّع إلى وجهه فى المرآة ، وهو يستشعر فى أعماقه لذة الحرية لأول مرة ، منذ ثلاثة عشر عاماً ، وتذكّر كلمات (نادية) ، وهى تقول :

– لو أنك تريد حقًّا التحرر من أسرك ، فعليك أن تعتمد على نفسك .. على نفسك فقط .

وهتف ، وكأنه يحدث نفسه :

– لقد نجحت .. لقد تحررت من الأسر .. لم تعد (عايدة) قادرة على أن تسجننى خلف قضبان الوهم مرة أخرى .. لقد تحررت .. لقد تحررت ..

* * *

فتحت (نادية) باب شقتها ، إثر رنين الجرس ، واضطربت من قمة رأسها حتى أخمص قدميها ، حينما رأت أمامها (شكرى) ، وهمست فى ارتباك :

– (شكرى) ؟! .. لماذا أتيت ؟

رفع (الدبلة) الذهبية أمام وجهها ، وهو يبتسم قائلا :

– من أجل هذه .

صمتت لحظة ، قبل أن تقول فى حزم :

– لقد أخبرتك من قبل أننى لست على استعداد لقبولها ، طالما أن ..

قاطعها بابتسامة حانية :

ـ لقد وضعت شرطاً لقبولها ، ولقد تحقق هذا الشرط .. انظرى إلى عينى ، ولن تجدى ذلك الشبح ، الذى كان يحول بينى وبينك .

تطلعت إليه فى تردّد ، إلى أن جاء صوت والدها من الداخل ، يقول :

ـ مع من تتحدثين يا (نادية) ؟

لم تجب (نادية) ، وهى تتطلع إلى عينى (شكرى) فى حيرَة ، بحثاً عن الحقيقة ، ثم لم يلبث قلبها أن أنبأها بالحقيقة ..

حقيقة أنه لم يعد فى عينى (شكرى) سواها ..

وهنا تألّق وجهها بابتسامة عريضة ، وهى تفتح الباب على مصراعيه ، لتفسح له طريق الدخول إلى منزلها ..

وإلى قلبها ..

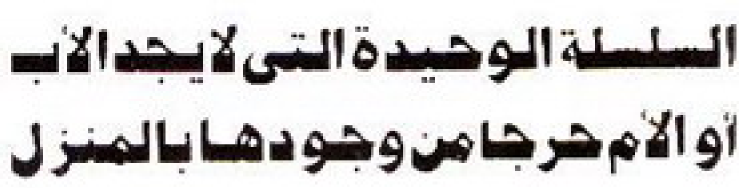
* * *

(تمت بحمد الله)

رقم الإيداع : ٧٨٤٨

سلسلة رومانسية رفيعة المستوى





المؤلف



ا . شريف شوقى

أوهام الحب

عاش (شكرى) سنوات
طوال ، فى انتظار عودة الإنسانة
التى أحبها ، بعد أن وعدته بالعودة
من أجله . وأضاع مع أوهامه أجمل سنوات
عمره . فهل تعود حبيبته كما وعدته ؟
أم يحيا عمره كله فى
وهم من أوهام الحب ؟



الثمن فى مصر
ومايعادل دولارًا أمريكيًا فى سائر الدول العربية والعالم